20 me année No 1005

Le Caire 6 — 10 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ محرم سنة ١٣٧٢ — ٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نحن الشعب نريد

للأستاذ سيد قطب

نحن الشعب ندرك اليوم أن فجراً جديداً قد طلع ، وأن عهداً جديداً يظلل هذا الوادى ؛ وندرك أن وثبة الجيش المباركة هى التى أطلعت ذلك الفجر ، وبدأت هذا العهد ، وأن هذه الوثبة المباركة ليست لحساب فرد أو هيئة أو حزب ، وإنما هى لحسابنا نحن الشعب !

نحن الشعب ندرك أن الذين قاموا بالثورة حملوا رؤوسهم على أكفهم ، وساروا فى ظلام دامس ، فى طريقهم الشوك ، وفى قلوبهم الشعلة ، وفى وجوههم الخطر . بينما كان كبراء هذا البلد فى مصايفهم الناعمة بأوربا ، يحف بهم النعيم ، وتراودهم أخيلة الحكم ، وتداعبهم أحلام الماضى !

ونحن الشعب نريد أن نعمل مع الذين واجهوا الخطر فى الظلام الدامس ؛ وأن نتخلى عن الذين استمتعوا بالنعيم ونحن هنا فى قبضة البؤس والظلم .. ذلك أننا نعرف أن الأبطال الذين كافحوا كانوا معنا ، والكبراء الذين استمتعوا كانوا علينا !

* * *

نحن الشعب ندرك أن الإقطاع قطر من عرقنا كؤوسا شهية للسكارى ، وجمد من دمائنا يواقيت فى نحور الغوانى ، وجعل من رفات آبائنا وأجدادنا سماداً للأرض الطيبة كى تزيد غلاتها لحسابه .. ونعرف أن محترفى الحكم وتجار السياسة قد انضموا إلى جلادينا الإقطاعيين ، وأصبحوا منهم ذوى ملكيات واسعة ، ولم ينضموا إلينا نحن الكادحين فى الأرض .. حتى قامت وثبة الجيش الأخيرة .. هنا فقط قال حماة الوادى للجلادين : مكانكم ! وهنا فقط ردت الأرض إلى ملاكها الحقيقيين

ونحن الشعب نريد أن ننبذ محترفى الحكم وتجار السياسة الذين وقفوا فى صفوف الإقطاع ولم يقفوا فى صفوفنا . وأن نحمى ظهور حماة الوادى من دسائس الإقطاعيين وحلفائهم من محترفى الحكم وتجار السياسة !

* * *

نحن الشعب ندرك أن الرأسمالية قد فتلت لنا حبال المشانق فى صورة قوانين ولوائح . وسلطت علينا البوليس السياسى يطاردنا فى المعامل والمصانع . وحرمت علينا تكوين النقابات وتكوين الاتحادات النقابية إلا بإذنها ورضاها ، وإلا بجواسيسها وأذنابها .. ونعرف أن مستغلى النفوذ من الوزراء والمستوزرين قد باعوا أنفسهم لهذه الرأسمالية ، مقابل صفقات رابحة ، وعضويات فى مجالس الشركات ، وأذون استيراد وتصدير .. وأن الوثبة الجديدة وحدها هى التى مزقت البوليس السياسى ، وقلمت

أظافر الرأسمالية . وأطلقت للنقابات العمالية حرياتها ، ومهدت لقيام اتحـاد النقابات على أسس سـليمة ، واعترفت بشرعية هذا الاتحاد

ونحن الشعب نريد أن نتخلص نهائيـا من المستغلين الذين باعوا أنفسهم للرأسمالية . وأن نتكتل وراء الوثبة الجديدة التي خلصتنا من براثنها المخيفة

* * *

نحن الشعب ندرك أن وزراء العهود الماضية كانوا ينتظرون إشارة صغيرة من مولاهم ليدوسوا الحريات ، ويعطلوا الصحف ، ويحطموا الأقلام ، وأن البرلمـانات كانت وراءهم توافق لهم على القوانين ، وتعترف لهم بشرعية الطغيان ، وتقفل باب المناقشة عندما يجبهها الحق .. ونعرف أن الثورة المقدسـة هي التي قالت لمولاهم : تنازل قبل الساعة الثانية عشرة وارحل قبل السـاعة السادسة . وهي التي أملت على التاريخ صفحة جديدة من العزة والكرامة ، وطوت صفحة قديمة من الذل والصغار ، وتركت حتى خصومها الكائدين لها ، يثرثرون في صحافتهم ، ويملأون الدنيا ضجيجا وعجيجا . لأنها تؤمن بالحرية حتى لأعدائها

ونحن الشعب نريد أن نطوي صفحة هـذا الماضي بملكه ووزرائه ومستوزريه ، وزعمائه ومتزعميه . نريد أن نطوي هـذه الصفحة المخزية ؛ لنفتح الصفحة الجديدة التي أملتها الوثبة المقدسة على التاريخ . لأننا شعب له كرامة ويجب عليه أن يحمي هذه الكرامة

* * *

نحن الشعب ندرك أن تجار السياسة استغلوا حماستنا الوطنية، وتطلعنا إلى الحرية والاستقلال ، وحرصنا على أن نكون أمة لائقة بماضيها التاريخي ، ليتجروا بهـا كلها في الأسواق الدولية والأسواق الداخلية . وأنهم لذلك أثروا على حسابنا ثراء فاحشا ، ولو أنهم استغلوا تجارا في أية سلعة ما أثروا مثل هـذا الثراء الفاحش . وأنهم على استعداد أن يستغلوا حماستنا الوطنيـة من جديد ، ليزيدوا بها ثراء على ثراء ، وترفا على ترف ، وقصورا على قصور .. ونعرف أن الوثبة الجديدة وحدها هي الوثبة النظيفة . لأن رجالها لا يزالون يعيشون عيشة الشظف : يسهرون والناس نيام ، ويعيشون على أخشن الطعام . ولا يعرفون مصايف مصر فضلا على مصايف العالم ومغانيه

ونحن الشعب نريد أن نقول للممثلين على مسرح الوطنية : أسدلوا الستار فقد سئمنا الرواية ! أسدلوا الستار واذهبوا فإن فجرا جديدا قد طلع . وإن عهدا جديدا يظلل هذا الوادي

سيد قطب

محمد رسول الله

للأستاذ علي الطنطاوي

كتب كاتب في الرسالة عن الرسول صلى الله عليه وهل كان يعلم الغيب أم أن الغيب شيء قد اختص الله نفسه بعلمه. فكتبت كلمة صغيرة لتنشر في البريد الأدبي، ثم رأيت أن الأمر أكبر من ذلك وأنه لا يكفي فيها تحقيق هذه الجزئية؛ بل لا بد من تصحيح عقيدة كثير من المسلمين بالنبي صلى الله عليه وسلم

إن القرآن بين بياناً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض، ولا مجال لتأويل ولا تبديل، بأنه صلى الله عليه وسلم بشر يوحى إليه، فهو في ولادته وفي منشئه وفي صحته وفي سقمه، وفي حياته وفي موته، بشر كسائر البشر، وإن كان الله قد اختصه بأسمى الصفات (البشرية) في الخلق والطبع والسلوك والمواهب، وأنه فوق ذلك يوحى إليه كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبله، ولا يوحى أبداً لأحد من بعده، لا لإمام من أئمة آل البيت، ولا لمتنبئ ولا لمدع العيسوية في قاديان. هذه هي العقيدة الصحيحة، فهل المسلمون كلهم عليها؟

إن كثيرين من المسلمين، ولا سيما من يدعي التصوف منهم يرفعون النبي صلى الله عليه وسلم فوق البشر، ويصفونه بصفات الألوهية، والأدلة على ذلك لا تعد ولا تحصى، وأنا أمثل على ذلك بقصائد تتلى صباح مساء، ويتبرك الناس بها، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله بتلاوتها وإنشادها، وفيها الكفر الصريح. الذي يعد كفر المشركين من قريش إن قيس به إيماناً، فكفار قريش كانوا إن ركبوا الفلك، ودهمتهم الشدائد دعوا الله، كما أخبر بذلك القرآن، والبوصيري صاحب قصيدة (البردة) التي يتلوها المسلمون خاشعين كأنهم يتلون القرآن، يقول للنبي صلى الله عليه:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ومن المعلوم أن أقوى طرق القصر عند علماء البلاغة هو النفي والإثبات، ولذلك كانت كلمة التوحيد، لا إله إلا الله: نفي الألوهية عن الجميع وإثباتها لله وحده

وهذه القصيدة الأخرى، التي كان مشايخنا ... يتبركون بها، ويتأدبون عند تلاوتها. قصيدة (ما أرسل الرحمن أو يرسل)، يقول صاحبها مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم

عجل بإذهاب الذي أشتكي ... فإن توقفت فمن أسأل؟

وأصرح من ذلك قول الشيخ عبد المجيد الخاني، مؤلف الحدائق الوردية:

رسول الله لي بصر كليل ... وأنت بكل أحوالي بصير
رسول الله مالي من نصير ... سواك الدهر يا نعم النصير
لعمرك يا أجل الرسل إني ... لما أنزلت من خير فقير
فإن أدركتني بخفي لطف ... فدهري لا يضر ولا يضير

هل يشك أحد ممن يفهم الكلام العربي، بأن هذا الرجل يؤله محمداً، ويعبده، ويخاطبه بما جاء في القرآن خطاباً لله عز وجل (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير)؟

والأحاديث الصحيحة، قد بينت أنه صلى الله عليه وسلم ولد وربي كما يولد ويربى لداته من أبناء قريش إلا أن الله عصمه من عبادة الأصنام، ومن الكذب والفحش وسائر شرور اللسان والقلب، وجعله على خلق عظيم لم يجعل عليه بشراً غيره في كل عصور البشرية، وتأتي مع ذلك هذه الموالد التي يتلوها الناس، وأشهرها مولد العروس عند العامة، ومولد البرزنجي عند الخاصة، وكلاهما محشو بالكذب، فتجعل الوحوش تتباشر بولادته، بأفصح الألسن القرشية ... وأنه حضر أمه ليلة مولده آسية ومريم في نسوة من الحظيرة القدسية ... وأن جده وأمه كانا يعرفان بأنه خاتم الأنبياء، مع أنه هو صلى الله عليه، لم يكن يدري ما الكتاب ولا الإيمان، وأنه لما جاءه الوحي ذهب يقول زملوني، دثروني، حتى أخبره ورقة أن هذا هو الناموس الذي كان ينزل على عيسى

وبعض المسلمين لا يعتقد أن الرسول ميت، ويراه حياً في

قبره مثل حياتنا،حتى أنه كان فى حينا (فى المهاجرين ـ فى دمشق) خطيب كان يقول فى خطبته مسجعاً : « قال صلى الله عليه وسلم وهو فى قبره حى: البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على، وناقشه بعض طلبة المدارس . فأكد لهم أنه حى فى قبره ، وأن فلانا (ومشايخ الطرق) ، وقف عند القبر ، وقال من قصيدة :

« فامدد يمنيك كى تحظى بها شفتى »

قال : فخرجت اليد الشريفة من جدار القبر حتى قبلها

وأمثال هذه الأكاذيب التى لا يقرها عقل ولا نقل، ولا يقبلها شرع ولا طبع

والله يقول للرسول : (إنك ميت) ونحن ننكر موته، ففيم إذن نقرأ السيرة . ونقول إنه ولد سنة كذا . ومات سنة كذا ؟ وفيم نصب الخلفاء من بعده ؟ ولماذا لم يرجعوا إليه يوم اختلفوا فى السقيفة وكاد ينصدع أمر الإسلام ، وهو مسجى لم يدفن بعد؟

إنه حى عند الله حياة برزخية روحية الله أعلم بها — أما بالنسبة إلينا فهو ميت — قد مات ودفن كما يموت سائر الناس ويدفنون ، وإن كان قد ورد أن الأرض لاتأكل أجساد الأنبياء، وأن الله يوكل ملكا يسمعه السلام عليه ، أو يرده عنه . وهذه كلة وإن صح طريقها إخبار آحاد ، لا تثبت بها عقيدة — ولا يبنى عليها علم ، كما هو معروف من علم الأصول

والغريب فى المعجزات أنك إن رجعت إلى كتب الصحاح وإلى السير الأولى كسيرة ابن إسحق ، لم تجد إلا شيئا منها قليلا، فإن ذهبت إلى الكتب المتأخرة كالسيرة الحلبية مثلا وجدتها فياضة بذكر العشرات من المعجزات التى لم يكن لها ذكر فى الكتب الأولى . ونحن لا ننكر المعجزات ، ولكنا نجد فى القرآن ما رد على طالبي الآيات من المشركين، بأن القرآن هو الآية الكافية التى لا تحتاج إلى شىء معها

ومن المسلمين من يجعل المنامات والرؤى أصلا من أصول الشرع ويبنى عليها أحكاما وأوهاما ويتخذها سبيلا إلى اجتلاب النافع ، ودرء الفاسد ، ويستندون إلى حديث « من رآنى فقد رآنى حقا » مع أن العلماء قد نصوا على أن الشرط فى ذلك أن يراه على الصورة التى وصف بها فى كتب الحديث وفى الشمائل . ولا يبنى على الرؤيا مع ذلك حكم شرعى

هذا وأنا لا أذكر درجة هذا الحديث — وليس تحت يدى وأنا أكتب هذا الفصل شىء من الكتب أرجع إليه وليس عندى وقت للمراجعة

وبعضهم يخالف ماعليه الإسلام من جهة تقديس أسرته ، وتفضيلهم بمجرد النسب ، مع أن الفضل فى الإسلام للتقوى والمزايا الشخصية . والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة : « يافاطمة بنت محمد ، لاأغنى عنك من الله شيئا » ويحتجون بآية (إلا المودة فى القربى) جاهلين معناها ومساقها

وآخرون من المسلمين يظنون أنهم يمدحون الرسول ويعظمونه ، بوصفه بأنه جميل الوجه ، ومدح عينيه وجماله، وذكر العشق والوصال ؛ وينشدون فى ذلك الأناشيد فى الإذاعات — أيام المواسم — ويسمونها أناشيد دينية ، وماهى إلا تقليد للترتيلات الكنسية النصرانية وقلة أدب مع الرسول ، ولا أصل لها فى الإسلام ولا يرضى بها الشرع ولا الذوق ولا الأخلاق . ويجب شرعا منع إذاعتها

هذا وقد نجمت طائفة من شباب المسلمين . . تنكر الوحى وترى النبي صلى الله عليه وسلم عبقريا فقط ، وبعضهم ينسب العبقرية للشعب العربى ، ويرى بأن الرسول أثر لها — وكل هذا اتباع للمستشرقين والملحدين، ولبعض النصارى من أجراء الأجانب الذين أفسدوا الإسلام فى بلاد الشام باسم القومية العربية ، والانتصار لها والدفاع عنها . . وسنفصل الكلام فى العربية والإسلامية فى مقال آخر إن شاء الله

وبعد فإن من أوجب الواجبات على العلماء والخطباء وأرباب الأقلام الإسلامية ، أن يردوا أتباع محمد إلى العقيدة الصحيحة فى سيدنا محمد صلى الله عليه ، الذى كان بشراً يوحى إليه ، ولم يكن إلهاً يعبد — ولا جيلا يعشق ، ولا نابغة عبقريا فقط

على الطنطاوى

صوت الهجرة

للسيدة وداد سكاكيني

ما كانت الهجرة إلا مركب الأسنة الذي يضطر إليه أحرار الفكر والرأي ، أو اللهيف التشوق إلى آفاق جديدة للرزق والمعرفة ، فإن الوطن عزيز لدى أهليه وساكنيه ، إذ يعيش المرء فيه كما تعيش الشجر في منابتها ، فمن ذا الذي فارق بلده وذويه ولم يؤله البعاد والنزوح طوعاً أو كرها ؟

لو عرفنا شعور الطير الذي يسمونه السنونو وقد كتب عليه في الحياة أن يترك عشه إلى أفق بعيد، يفرد فيه جناحيه، لأدركنا عمق الأسى والحنين ، في مغادرة المنزل المألوف والأرض المعهودة أبداً ترى الذين جلوا عن بلادهم ومعاهدهم متلهفين عليها ، لاهجين بذكرها وآثارها . ولكم علق نظرى بأسماء يونانية أو إيطالية كأثينا والأكروبول وفينيسيا وسواها ، سميت بها بعض المتاجر والملاهي بمصر ، فقلت بالله ! أقام الروم طويلا بضفاف النيل ، وظلوا متعلقين بالوطن الأول . وفعل مثلهم أكثر المهاجرين من العرب إلى الديار الأمريكية والإفريقية ، فأنشأوا بيوتا وأسواقا على طراز ما عرفوا في بلادهم وحافظوا على لهجاتهم وتقاليدهم ، وقديما بقيت الأندلس على عربيتها شرقية أصيلة

هذه خواطر طوفت بخيالي وفكرى وأنا أتصور هجرة الرسول محمد بن عبد الله ، وجعلتني أتساءل : ترى كيف كان شعور الرسول في تلك الليلة الخطيرة ، فإن السيرة لم تقل لنا كل شئ ، وما التحاور الذي كان بين محمد عليه السلام وبين صاحبه المحزون وهما يسريان في أناة وحذر ، والبيداء تطويهما نحو المدينة ؟ لقد بقى كثير من ذلك التحاور في ضمير الزمن ، ولم يستطع الفن ولا الأدب أن يكشف عنه حرمة وتهيبا

إن في معنى الهجرة بتلك الليلة المرصودة ما يتعايا دون تصويره القلم واللسان لأنه يحتوى فيما يحتوى فراق الأهل والبلد ، لا لاكتساب الرزق والصيت أو لالتماس السلوى في تبدل الوجوه والآفاق ، بل من أجل هدف أسمى وأغلى ، وفي سبيل إنسانية مثلى ، تجعل كل بلد يذكر فيه اسم الله ورسوله وطناً لمحمد ، فإن هذا الدين الحنيف لم يولد ليبقى بين الجبلين الاخشبين أو تهفو إليه الأفئدة من صوب أبي قبيس فحسب ، وإنما أراد الله أن يعم العالم بالهدى والرحمة ، ويخرج به الناس من الظلمات إلى النور

فمن أجل هذه الرسالة الخالدة فارق محمد بلده مضطرا مقهورا ، حتى عاد إليه مؤيدا منصورا ، وفيه أعد الشمل الكبير الذى أمسك به أبو بكر ثم سلمه من بعده إلى عمر

لقد أقبل محمد بصاحبه الصديق على يثرب في لهفة وحسبان وإشفاق على من تركهم في مكة حيارى يحذرون كيد المتربصين وعنت الأعداء ، فتلقاه غطاريف الأوس والخزرج بالنصر والإيمان وراحوا يفدونه بالأرواح مخلصين ، ويستجيبون لدعوته مؤيدين

وكان من شأن أكثر الفاتحين أن يدمروا البلاد التي يأخذونها ، ولكن محمدا لم يهدم إلا الأصنام التي لكزها فانحدرت منكسة محطمة من أعلى الكعبة ، ولم يكن عجبا في الدهر أن تحارب المدينة مكة ، فقد حاربت اسبارطة أثينا ، وكلتاهما من موطن واحد ، وأشهدتنا الأيام القريبة حرب الجنوبيين في أمريكا للشماليين ، على أن حرب الرسول عليه السلام ما كانت إلا لتحقيق الرسالة الإلهية التي أداها إنقاذا للانسانية التي ضلت سبيلها ، وتاهت في جاهليتها متنكبة عن الخير والهدى ، ولم يكن جهاده طمعا في مآرب الدنيا والسيطرة على أهلها ، بل في سبيل كلمة أراد أن تحق في الدنيا وأن تكون هي العليا ، فإذا مرت هذه الذكرى بعد ترادف العصور بقيت خافقة بالحياة كأنها قد جرت البارحة ، وإلا فما قيمة التاريخ ، وما تعب الزمان في حفظ الأحداث ورواية الخطوب

إن كل تاريخ لا يروى لنا الذكرى ويبعثها حية خافقة في النفوس لهو في نظرى تابوت ترقد فيه مومياء ، ولهذا لا ينبغي أن نمر بذكرى الهجرة مرور الحفاوة والتكريم كمن يفرح بعيد جيل قد مر بحياته أو بفرد من أفراد أهله ، وإنما ينبغي أن نحس في ذكرى الهجرة بمثل ما أحس المؤمنون والأنصار حين أقبل عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعه صاحبه يتخففان من كيد المتمردين والحاقدين ، ويستأنسان بمن شد الأزر وفتح الصدر للرسالة التي جمعتهم على محبة وإيمان وعزم لم تزعزعه المحن والفتن ، ولا هدته الصدمات والملمات

فما أروع المعانى التى احتوتها هجرة الرسول ؟ وما أحرانا بأن نبعثها فى حياتنا الراهنة فنحققها ونستمد منها القوة والاعتبار . بل ما أجدرنا بالتعاون على قهر العدو الذى يكيد لنا ، وأى كيد أدهى وأمر من تشريد أهل فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وضيما ، مستجيرين من دخيل غاصب أصبح بعون الطغاة الناشمين صاحب الدار ؟ فهل يتاح لهؤلاء المهاجرين المقهورين رجعة إلى ديارهم وبلادهم ؟

من هنا ينبغى أن نفكر فى ذكرى الهجرة بما صنع النبى بالنازحين واللاجئين ، وأن نذكر أن عودتهم ونصرتهم تحققها كلمة الرسول وتعاليمه إن اتبعناها وما كانت لترضى بقبول الظلم والهوان ، فإن رسالته وضحت كل شأن وقالت بأن لا نقيم على ضيم وخذلان ، ولا نستخذى لغاصب لئيم ، فى هذه الذكرى يجب على كل بيت ومجتمع ، ألا يقر له قرار إلا بالعمل على انتزاع شوكة الطغيان والعدوان من دنيانا التى ألمت بها أشتات الخطوب والمحن ؛ حتى إذا مرت الذكرى بعثت الهمم وسددت الرأى والخطى ، وفتحت أعين الرجال والنساء على عهد جديد فى هذا الشرق الذى يستعيد اليوم مجده ويتحرر من أغلال الظلم والفساد

القاهرة وداد سكاكينى

مشاكل الجامعة

ترقيات المدرسين بالجامعة

للأستاذ محمد رجب البيومي

ينظر المهيمنون على شؤون التعليم نظرة إشفاق على المستوى الجامعى الذى أخذ ينحدر شيئا فشيئا — فى مختلف كليات الجامعات — حتى أوشك أن يهبط إلى الحضيض ، وتتضح هذه الحقيقة المؤلمة حين تجلس مع طالب فى السنة الأولى بإحدى كليات الجامعة ، وطالب آخر قد أتم سنواته الجامعية ، فلن تجد فرقا واضحا بين التفكير العلمى لدى الطالبين ، فكلاهما يشترك مع طلبة المدارس الثانوية فى تلقين الدروس ، وكتابة المذكرات وحشو الذهن بالمواد المتزاحمة ، دون أن تتسع لديه البصيرة النافذة ، والتميز الدقيق ، ودون أن تفيده الجامعة ما ينبغى أن يتمتع به من التفكير السليم ، والاستنتاج العلمى المرتكز على قواعد من البحث والتعليل ، ودون أن تخلع عليه الجامعة روح الابتكار والشمول المستوعب لدقائق الموضوع ، مما يدفع بك إلى التساؤل عن سر هذه النكبات المتلاحقة التى أخذت ترصد الجامعيين ، وتسد أمامهم الطريق

ونحن نلقى التبعة دائما على السياسة الحزبية التى صرفت الطلاب عن واجبهم العلمى ، وقذفت بهم إلى لجج من الفوضى والاستهتار ، وهذا حق لا مرية فيه ، ولكن الحق أيضا أن نذكر نصيب الأساتذة فى هذه التبعة الفادحة ، فلا نجبن عن إعلان دورهم الرئيسى فى تمثيل هذه المسرحية الحزينة ، دون أن نقيم أى اعتبار لغير الصدق الذى لا يعدم النصير !

لقد كانت جامعة فؤاد الأول منذ أعوام حافلة بذخيرة ثمينة من الأساتذة الذين يتبوءون مناصبهم العلمية عن جدارة واستحقاق ، وكانت مع ذلك تستقدم من أساتذة أوربا أعلاما بدوى صيتهم العلمى فى أنحاء العالم ، فيقومون بتوجيه الطلاب أكمل توجيه ، وينمو على أيديهم غرس زاهر يؤتى الثمر ويمد الظلال ، ثم أنشئت جامعتا فاروق وإبراهيم — وسينشأ غيرها من الجامعات — فأخذ ولاة الأمور يبحثون عن أساتذة يملأون الفراغ بجدارة مشرفة ، فلا يجدون غير أساتذة الجامعة الأولى ، فتخطفتهم الجامعات تخطفا غير عادل ، دون أن يكملوا النقص الشاسع الديد ، واضطر المهيمنون على الجامعات أن ينشروا الإعلانات فى الصحف باحثين عن مدرسين أو مساعدين يقضون حاجات المعامل والفصول والدرجات ، وكأنهم يبحثون عن مبنى « للبيع » أو شقة للايجار ، وهم معذورون فى ذلك مهما ثلمت كرامة التدريس الجامعى ، فالمضطر يركب الصعب فى أتعس الأحوال ! وحين لم يجدوا من تتوفر فيهم الكفايات المنشودة ملأوا الأماكن بالمبيدين وأضرابهم من ذوى الحداثة فى السن والتوجيه ، وهؤلاء كانوا منذ شهور يتلقون الدروس ، فأصبحوا بمعجزة خارقة مدرسين يقومون بالشرح والتفهيم ، ولن ننكر ما قد يكون لدى القليل من النضوج والاستعداد ، ولكن الكثرة الغالبة فى حاجة ملحة إلى التمرن بالمدارس الثانوية من

جهة ، وإلى البعثات العلمية من جهة أخرى ، ليجدوا فى عقولهم ما يقدمونه إلى الطلاب فى مختلف المواد ، بل إن الكثير من هؤلاء المعيدين يتملقون زملاءهم الطلاب — سترا للضعف العلمى عما يعود بالخيبة والإخفاق ، وهذه جناية التقليد الضرير الذى يأخذ بالقشور دون اللباب ! وليت الجامعات واصلت الاستعانة بأساتذة أوربا فى الكليات العملية — على وجه الخصوص — فهى فقيرة إلى الأكفاء من الأساتذة ، بل وإن التسرع العاجل قد حال دون الانتفاع بذوى الكفاية والمواهب ، دون أن نعرف سببا منطقيا ينأى عن العواطف والنزوات ، مع أن جامعات الغرب — فوق تقدمها الملموس — تستقدم من أساتذة الشرق من ترى فى انتدابهم النفع والسداد ، فلم لا نقلدها مخلصين فى ملء هذا الفراغ ؟ أكبر الظن أننا نثق إلى حد مضحك فى كفاءة المعيدين ، قانعين بالإعلانات المتكررة فى الصحف والمجلات

وأنت تنظر إلى مناصب الدولة عندنا فتجدها متخمة بأساتذة الجامعة السابقين من ذوى القدرات الممتازة ، فتتساءل عن هذا الفرار السريع من ميدان التربية والتدريس ، مع مانعلمه من حرص الأساتذة فى جامعات أوربا على التدريس بالجامعات رغم المغريات اللامعة ، وقد يكون الغنم المادى جزيلا خارج الجامعة ، أو يكون للمنصب الجديد بريق يؤذن بالنفوذ والأبهة والجاه ، قد يكون هذا وذاك ، ولكن يجب أن نذكر أن ازدحام الجامعة بمن لايصلحون للتدريس قد زين الفرار لأساتذتهم من ميدانهم الأصيل ، كيلا يجتمع الطيب والخبيث فى منزلة واحدة أمام الأنظار

وإذا كان لابد من الترقية لهؤلاء المعيدين ، ونظرائهم من المدرسين والمساعدين ، فعلى أى منوال تكون الترقية القريبة من العدالة والإنصاف ؟ لقد تطاحنت الآراء حول هذا الموضوع تطاحنا وصل صداه إلى الصحف والأندية ، وجاوز الحرم الجامعى بأميال ، ففريق يؤمن بأن الأبحاث العلمية هى الميزان الدقيق للكفاءة الممتازة والترقية العادلة ، وفريق يخالف ذلك مخالفة شديدة ، ويجهر بأن الأبحاث العلمية لا تصلح ميزانا عادلا للترقية فى درجات التدريس ، ولهذا الفريق المتحمس أدلته التى لاتخرج عن نقاط ثلاث

(١) أن التدريس ملكة مغايرة للبحث ، إذ قد يكون من لا يجيد البحث والتأليف مدرسا لامعا من أحسن طراز

(٢) أن الأبحاث العلمية ستكون طوفانا حافلا بالمكرر التافه من الآراء ، إذ لا يتسنى لكل مدرس أن يبتكر الطريف النافع ، فيلجأ إلى النقول الزائفة ، والتلفيق السخيف

(٣) أننا بتقديس الأبحاث نجحد الاكتشافات العلمية ، التى تستنفد الوقت الطويل للوصول إلى مخترع حديث ، أو علاج جديد ، وبذلك لن يتقدم العلم خطوة واحدة ، بل ربما رجع إلى الوراء

وقد تبدو هذه النقط الثلاث مقبولة عند النظرة الأولى ، ولكنا بعد التأمل الفاحص نجدها زائفة لا تستند إلى منطق صحيح ، وربما كان الهروب من التبعة الفكرية والاستقراء العلمى باعثا على اختلاقها وتصيد الأسانيد الموهومة لتدعيمها ، والجرى وراء الأقليمية المطلقة ، جريا يبعث على الدهشة والاستغراب ؛ فالنقطة الأولى التى تباعد ما بين البحث والتدريس صادقة بالنظر إلى تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية فقط ، فهم لا يحتاجون إلى العلم الزاخر والمادة الغزيرة ، بل يتطلبون المدرس الملم بالطرق الخاصة للتدريس ، وإن كان قاصر المادة محدود الاطلاع ، ليتمكن من تبسيط المعلومات وتيسيرها من طريق مختصر ، أما المدرس الجامعى فيجد أمامه طلابا فى مرحلة الشباب ، قد كمل نموها العقلى والجسمى والعاطفى ، وألموا بطائفة من المواد تساعدهم على استيعاب الأبحاث الجامعية ، وتهيئهم للبحث المتسع الأفق ، المتشعب النواحى ، القائم على أسس وطيدة من حرية التفكير وسلامة المنطق ، فهم فى حاجة إلى مدرس عالم مارس البحث العلمى ليشبع الرغبات النهمة ، ويفتح النوافذ الموصدة ، وبقدر مكانة الأستاذ العلمية يكون نجاحه وتوفيقه فى مهمته ، وإذا كنا نصادف فى القليل النادر من لا يوفقون فى التدريس الجامعى مع علو أقدارهم فى البحث والتأليف ، فهم من القلة بحيث لا ينبغى أن تتخذ منهم قاعدة عامة تندرج على الجميع . وأرى بهذه المناسبة أن تحتم الجامعة على كل من يتأهب للتدريس بها ممن يجدون من أبنائها المتخرجين ، أن يدرسوا مبادئ التربية والطرق الخاصة ،

وعلم النفس دراسة مستوعبة ، لتنعدم الهوة الجائمة بين البحث والتدريس لدى القلة الضئيلة من الجامعيين ، وإنى لأعجب كيف يكون المدرس فى التعليم الثانوى والابتدائى متخرجا من معهد التربية العالى للمعلمين ، ولا يكون المدرس الجامعى مشاركا له فى الدراسة بهذا المعهد الممتاز ، إذ أنه يواجه من مشاكل الشباب ومتاعبه وانحرافاته مثل ما يواجهه المدرس الابتدائى من مشاكل الطفولة ، والمدرس الثانوى من مشاكل المراهقة ، وجميع هذه المشاكل تدرس بتوسع مفيد فى معاهد التربية العالية ، ولن تغنى عنها الدكتوراه أو الماجستير فى شئ ، فلم لا نلتفت إلى هذا النقص الخطير ؟

وتأتى النقطة الثانية فنعلن أن الخوف من التكرار والتفاهة فى الأبحاث العلمية لا يجد مبررا يستند إليه ، فهذه البحوث تقدم إلى هيئة عالية محترمة ، تعرف الجيد من الردئ ، وتميز بين من يسلك النهج المنطقى فى العرض والاستقراء والاستنباط ، ويعمد إلى المشكلات الغامضة فيزيل خفاءها ويكشف إبهامها ، ويأتى بجديد يصحح فكرة خاطئة ، أو ينير وضعا فاسدا ؟ أجل ! هذه الهيئة المحترمة العالية تميز بين هذا الباحث الضليع ، وبين من يخبط فى بحوثه السقيمة خبط عشواء ، فيجمع إلى التفاهة والتكرار فساد المنطق ، وضعف التفكير ، ومتى كانت الموازنة عادلة صادقة ، فلا خوف على الدرجات الجامعية أن ينالها غير الأكفاء الناهضين ، ولن يغضب إنسان ما من كثرة الأبحاث وتنوع المؤلفات ، لأن الزبد يذهب جفاء ، بل ربما كان البحث المضطرب التافه سلما إلى البحث المتدل الأصيل ، ولا يزال السائر فى الظلام يتخبط فى المجاهل والدروب حتى يشرق عليه الصباح الباهر فيهتدى إلى الطريق

أما ما يدعونه من جحود الكشف العلمى الجديد ، وعدم الالتفات إليه لدى الترقية من درجة إلى درجة ، فهذا لا ينبغى أن يقتنع به أحد ، إذ أن الكشف العلمى — مع تشوقنا إليه — من الندرة والقلة بحيث لا يصلح أن يكون قاعدة جامعية عامة تطبق على الأساتذة والمدرسين لدى الترقيات ، فإذا وفق الله عبقريا جامعيا ، وخرج على الناس بكشف يزيد من سطور الحضارة ، ويضع لبنة فى صرح العلم ، فالجامعة إذذاك تقدره حق قدره ، وتجعله استثناء ممتازا للقاعدة التى تسير عليها دون أن يعترض عليها إنسان . بل إن مكافأته الطيبة لن تقتصر على الجامعة وحدها ، بل تنتقل إلى الأوساط العلمية التى تشيد بالكفاح الذهنى وتحنى رأسها للدأب والنبوغ

إن البحوث العلمية ميزان عادل للترقية فى الجامعة ، وهى التى تدفع المدرسين إلى العمل المثمر ، وتقطع عليهم طريق التثاؤب والخمول ، وإذا وجد مدرس يتمتع بالبراعة فى التدريس دون أن يجيد البحث العلمى ، فمن الإنصاف لنفسه أن يظل مدرسا لا يرقى إلى الأستاذية بحال ، إذ أن الأستاذ الجامعى فى موضع جليل الخطر ، عظيم المهابة ، فيجب أن يمارس البحث الدائب ، والعمل الناطق ، وبغير هذه البحوث المتواصلة لن ترقى جامعة ، أو يتقدم شعب يعتمد على التربية الصحيحة ليشق طريقه فى ميدان الحياة

محمد رجب البيومى

إلى الأستاذ نبيل النجار المحامي

حول مقال إلغاء الدين الرسمي

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

ليس فى استطاعة أمة من الأمم أن تعيش فى حاضرها منعزلة عن ماضيها . وليس فى طبيعة الإنسانية أن تحيا دولة دون أن تتصل بغيرها « وإلا قدر لأبناء هذه الدولة أن يظلوا بعيدين عن ركب الحياة » متخلفين عن قافلة الإنسانية

والأمم الناهضة هى التى يستطيع أبناؤها أن يتأثروا بالاتجاهات الحديثة التى يمر بهـا العالم دون أن ينسوا ماضيهم « ويتجاوبوا مع التيارات الجديدة دون أن يسيروا على منهاج مبتكر منقول يخالف تراثهم الروحى والاجتماعى »

ولقد أخذت التيارات الغربية تغزو ميادين الحياة فى الشرق ، ولهذا لزمنا أن نصمد لها . . ونفيد منها بمقدار محدود . . حتى لا تتغير معالم الحياة فى بلادنا . . ولا يجرفنا التيار إلى سبيل لا نعرف نهايته

ففى الغرب نرى تحاملا متأصلا فى النفوس ضد الدين الإسلامى وعلة هذا التحامل جهل القوم بتعاليم دين لا يعتنقونه . . فليس غريبا إذن أن ينكروا على الدين كثيراً من حقائقه الثابتة ، ويحاولوا أن يشوهوا الكثير من مبادئه وأهدافه

ولكن الغريب حقـــا أن يردد بعض المسلمين ما يقوله الغربيون ، عن جهل وتعصب ، دون أن ينظروا إلى هذه الآراء نظرة فاحصة مدققة ، وقبل أن يزنوا الأمور بميزان دقيق ، فيه شئ من الحكمة والعدل.. فبالأمس القريب : كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان مقالا بمجلة الثقافة طالب فيه بتنحية الدين عن الحكم والحياة.. وقال إن مصر إذا كانت دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية

وقد رد عليه الزميل الفاضل « محمد رجب البيومى » ردا كافياً لم يستطع معه الأستاذ عنان أن يعقب عليه بشئ

واليوم قرأت مقالا جريئا . . تمادى فيه كاتبه إلى حد أن طالب بإلغاء الإسلام كدين رسمى للدولة ، وقد جاء فى هذا المقال المنشور بجريدة الشباب الصادرة بتاريخ ٢٧/٨/١٩٥٢ ما يلى :

«إن مصر هى الدولة الوحيدة فيما نعلم التى لها دين.. فالمفروض أن الدين لله يعتنقه الأفراد . . والمفروض أن الدولة تجمع عديدا من الأفراد ذوى العديد من الأديان . . فتخصيص دين واحد ، وربط الدولة به هو الأمر العجيب . . والواقع أن أسطورة الدين الرسمى للدولة هى بقية من عهود الطغيان والإقطاع . وهو فوق هذا سبة فى جبين مصر . . فقد اندثر هـذا النص من كل دول العالم إثر الثورة الفرنسية ، لأنه نص مخجل ومعيب ، ولن نتوقع لمصر ارتقاء مادام باقياذلك النص بما يستتبعه من تهريج واضطهاد، ومن تفتيت لوحدة الأمة ، فيجب فورا على العهد الجديد الجرئ أن يلغيه بجرة قلم ، فإن التخلص من سوءات الماضى لا يحتاج إلى ذرة من التأنى والتفكير »

وإن المتأمل فى هذا القول ، يرى أنه ليس صادرا عن قلب يعمره الإيمان ، أو نفس تشع فيها أضواء الفضيلة ، وأنوار الهداية واليقين ، كما أنه من ناحية أخرى لا يقوم على أساس ولا يستند إلى دليل

يقول الأستاذ النجار :

« إن مصر هى الدولة الوحيدة التى لها دين ، والمفروض أن الدين لله » وليس الأمر كما يرى الأستاذ الفاضل ، فمعظم البلاد الشرقية تنص دساتيرها على أن الإسلام دين الدولة الرسمى ، فإن كانت دول الغرب لا تأخـذ بهذا النظام ولا تنص عليه ، فذلك لخلاف فى جوهر الدين نفسه ، فقد تركت المسيحية « ما لقيصر لقيصر ... وما لله لله » وانصرفت إلى التهذيب الروحى ، والتطهر الوجدانى ، بينما تركت للقوانين الوضعية تنظيم المجتمع وتسيير الحياة..

نشأت المسيحية فى مجتمع منظم متكامل تسود فيـه قوانين الرومان التى تعتبر من أعظم القوانين التى ظهرت فى العالم حتى عصرنا هذا ، فلم تكن هناك حاجة لأن تتجه إلى وضع أساس الحكم ، وتشييد بناء الدولة ، وإنما كان عليها أن تهذب البناء وتصقله وتعدله دون أن تغيره.. أما الإسلام فقد نشأ فى مجتمع غير متكامل ،

ضاعت فيه القيم الأخلاقية والروحية ، وتلاشت منه مبادئ العدالة والحرية والمساواة ، فكان عليه أن ينظم المجتمع ، ويعيد بناء الدولة من جديد

قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »

بهذا نرى أن الإسلام يخالف المسيحية من ناحية الحكم ، فإن كان للمسيحيين أن يعزلوا الدين عن الحياة ، فليس لنا أن نقلدهم فى ذلك ، ونهمل كل تراثنا الروحى ، وجميع مقوماتنا الفكرية والاجتماعية

* * *

يرى الأستاذ النجار بعد ذلك أن ربط الدولة بدين واحد أمر عجيب لأن فى الدولة عديدا من الأفراد ذوى العديد من الديانات

وأحب أن أرد على الأستاذ فى ذلك بأن الدولة وإن كان بها العديد من الأفراد ، إلا أن الغالبية العظمى منهم يدينون بالإسلام، فإذا نص الدستور على أن الإسلام دين الدولة الرسمى ، فذلك يعتبر تمشيا مع عقيدة الغالبية العظمى ، وهو فى الوقت ذاته يمنح جميع أفراده الحرية الشخصية وحرية العقيدة ، ولا يجبر أحدا على أن يتخلى عن دينه ، أو يترك عقيدته . .

وقد نزل القرآن الكريم داعيا للحب ، مبشراً بالتسامح ، منفرا من إكراه الناس على اعتناق الإسلام بقوله تعالى « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وليس لأحد من رجال دينه على أحد سلطانا ، « لكم دينكم ولى دين »

* * *

يرى الأستاذ النجار بعد ذلك أن الدين أسطورة من عهود الطغيان » والواقع التاريخى لجميع الأديان السماوية يناقض ذلك ، فلقد قامت المسيحية — مثلا — لتقاوم طغيان الأباطرة الرومان ، ولذلك لاقى دعاتها الكثير من ضروب القسوة والاضطهاد على أيدى نيرون ، ودقلديانوس وتراجان وغيرهم

فقد أمر نيرون بإحراق روما ليستمتع بمرآها ، ولبثت النار تضطرم فى المدينة وتأتى على من فيها ستة أيام كاملة ، ثم ألقى تبعة إحراقها على عاتق المسيحيين ، فأشعلت فيهم النيران بعد أن طليت أجسامهم بالقار ، وأقيمت حفلة ألعاب فى بستان هذا الطاغية ، وكان هؤلاء الضحايا هم المصابيح التى تضئ البستان !

وأراد الإمبراطور دقلديانوس أن يؤلهه المسيحيون فى مصر فأبوا الإذعان لإرادته ، والخضوع لمشيئته ، فتولاهم بالسجن والإحراق ، وأمعن فى تعذيبهم والتنكيل بهم حتى سمى عصره « بعصر الشهداء » وكذلك قام الإسلام ليحقق العدالة الاجتماعية ويحارب طغيان القوى ، ويحد من سطوته وبطشه ، ويقضى على نزعة الجاهلية التى تمجد الظلم والتى وصفها الشاعر بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا

قد يقول قائل : إن هذه الأديان قد استغلت فى بعض عصور التاريخ ، لتسخير الجماهير ، واستغلال أفراد الشعب ، ولكن العيب فى ذلك لا يقع على الدين ، وإنما على القائمين بأمور الدين

فلقد دعت الأديان إلى المحافظة على الكرامة الإنسانية . . ودعت إلى مقاومة الظلم . . والوقوف فى وجه المتدين ، ولو أدى ذلك إلى الهجرة ، قال تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . . »

ولقد تمادى الأستاذ بعد ذلك فى تهجمه على الدين ، فنسب إليه التهريج والتأخر والاضطهاد ، والإسلام برئ من هذه الصفات ، منزه عن هذه العيوب ، فالإيمان بدين لا يستلزم التعصب والاضطهاد إلا عند من صدئت قلوبهم ، وأظلمت عقولهم ، وأكلت الأحقاد صدورهم، والإسلام.. كما ذكرت سابقا .. يدعو إلى التسامح والمساواة .. وينهى عن التعصب والتزمت ...

وبعد : فإن الدين الذى نهض بالمجتمع العربى ، ونقله من الضعف إلى القوة .. ومن الظلمات إلى النور .. لا يزال هو الدين لم يتغير منه شئ .. وإنما تغير معتنقوه ، والقائمون على أمره

ونصيحتى للأستاذ النجار.. ألا يتحدث فى شؤون الدين . . وهو على ما يبدو من كتابته . . جاهل بأبسط قواعد الدين . . وعليه أن يتعمق فى فهم تعاليم الإسلام الخالدة ، ومبادئه المثالية السامية .. قبل أن يصدر عليه أحكاما خاطئة .. منافية لأبسط قواعد العلم والمنطق

عبد الباسط محمد حسن

شلر

دراسة تحليلية

« للكاتب الإنجليزى الكبير توماس كارليل »

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

لا شك أن دارسي الأدب الألمانى أو الأدب بصورة عامة سيقابلون بكل ترحيب الكشف عن العلاقات الخصوصية بين أديبين عظيمين فى هذا الحقل بذَّ أقرانهما فى عصرهما وكانت لهما اليد الطولى فى إعلاء شأن الأدب ، لأن كل ما كتبه جوته أوشلر فى أى موضوع كان له أهميته الخاصة . والذى سنقدمه فى هذا الشأن هو الرسائل الخصوصية [1] التى تبودلت بين الأديبين العظيمين . هذه الرسائل التى لها علاقة وثقى بهذه الفترة الهامة من التاريخ الروحى ليس للفرقاء المعنيين بالأمر وحسب بل وبلادهما كذلك . هذه البلاد التى كانت تعج بالبحوث الصغيرة منها والكبيرة ، وعلى الرغم من أن الذين عالجوا هذه البحوث كانوا أناساً أحط موهبة وأقل قدراً من الأديبين الكبيرين ، إلا أن هذه المعالجات كانت ذات أهمية غير يسيرة . (لأنها كشفت النقاب عن الحوادث التى اعتورت البلاد فى تلك الفترة) [2]

لقد سمعنا وعرفنا كثيراً عن هذين الأديبين الفذين ، وعن صداقتهما وتعاونهما فى أعمال نبيلة عديدة ، وكانت ثمرة ذلك لكل إنسان . ونستطيع فى معرض بحثنا هذا — على الظروف الخافية التكوينية لكل هذا وتتبع أثر النتيجة (الثالية) وتشرح علاقتها بجذورها الأصلية ، وكيف كانا يعيشان ويعملان سوية فى هذا المحيط التافه من العالم وكيف كان يكتب (فاوست) و (وليم تيل) على الورق النهرى كما تكتب روايات منيرفا أو أغنيات رجل ينتسب إلى خاصة الناس ! إن المختصين فى الأدبيات لهم ولعهم المعروف فى البحث والتنقيب والتمحيص .. ولكن دعنا نبتعد قليلا عن الاختصاص أو أى موضوع شكلى آخر .. فليس لهذه الأشياء أى تأثير فى حب الاستطلاع الذى يجمعنا كلا شاملا فى صعيد واحد كبشر . والدليل على أن عطفنا فيما بيننا غير محدود هو هذا البحر الهائل من توافه الشائعات التى تجعلنا نشعر بالرابطة الإنسانية التى تربط بعضنا ببعض بقوة . . (وما هذه الشائعات إلا ترجمة غير كاملة) . ولا ريب أن الجنس البشرى يستوعب ويلفظ يوميا هذه الشائعات بصورة استمرارية ، وإذا كان حب الاستطلاع مسيطرا علينا هذه السيطرة التامة فيما يخص الشائعات العادية ، فكم بالأحرى تكون لأحاديث جوته وشلر أهميتها الكبرى التى تغرينا النزاهة نفسها على الإنصات إليها فيما لو كنا عائشين فى عصرهما ، ولكن من سوء الطالع أن تمر هذه الأحاديث لتوها فى الساعة التى شهدتها . ولنعد الآن إلى الرسائل والردود المتبادلة بينهما ، فإنها على ماهى عليه من حيوية وصراحة وعجبة ، لم تتركا غير الرموز والخلاصات المقتضبة .. فالحركة الدراماتيكية التى كانت تمثل على مسرح الحياة لا تخلف شيئا غير النتائج التاريخية الباهتة وهى كل مايتبقى لدينا .. ومن الحق القول أن كل رسالة خصوصية تبين نوعا ما شخصية الكاتب ، ولكن التصوير عاجز كل العجز عن تشخيص الطبيعة الروحية . فالهرم يمكن قياسه ورسمه من قبل مهندس بارع بحيث يصبح واضحا للعيان ، وكذلك يمكن رسم جبل (مونت بلانك) بألوانه وأشكاله وفى متاحفنا صور طبق الأصل لكل ذلك . أما تشخيص الرجال العظام وتصوير هذا الطراز من الرجال ، وهكذا .. فالصور التى فى حوزتنا تظهر من خلال سجف التاريخ باهتة ضعيفة غير واضحة المعالم ، وهى بعيدة كل البعد عن سحرها الذى امتازت به ، وقوتنا كلها عاجزة عن تجسيدهم كما هم رجالا أحياء ينبضون بالقوة والحيوية الفائقة ، وكل الذى نتمكن أن نفعله الآن لا يتعدى تصوير أشخاص أشبه شئ بأشباح أوسيان [3] فى ظلال النبش ، فمقراطنا ولو ثرنا — بعد كل هذا الذى قيل عنهما — ليسا فى الحقيقة سوى شخصين غير مرئيين ، فليس حكيم أثينا ولا راهب

(١) هذا البحث دراسة تحليلية شاملة لحياة شلر ولم يتطرق المؤلف الى ذكر المراسلات الا عرضاً ، لأنه أفرد لها بحثا خاصا فى كتابه الجليل (مقالات متنوعة) فننوه بذلك مقدماً ، المترجم

(٢) من كلام المترجم

(٣) أديب سكسونى قديم

ايسليين شخصين بالمعنى المعروف وإنما هما لقب ليس إلا . ومع ذلك فهؤلاء الرجال ، وليس الألب أو (الكوليسيوم)[٤] هم من عجائب الدنيا وهؤلاء أنفسهم هم الذين نسمى جاهدين لطبع أفكارهم فى ذاكرتنا . إن الرجال العظام هم أعمدة النار التى تقود حجيج الإنسانية ، والتى تنتصب كبشائر سماوية وشواهد على ماحدث وأدلة ناطقة على ماسيحدث من شؤون تقرر مصير العالم بأجمعه ، وهم فى الوقت نفسه الإمكانيات المتجمدة الظاهرية للطبيعة الإنسانية المغلقة بالألغاز والأحاجى ، وهم بهذا الاعتبار يمثلون العظمة غير المنظورة وغير المدركة عقلا حتى من قبل أنفسهم كبشر . على الرغم من أنهم يحبونها أشد الحب ويحترمونها أكبر الاحترام، ولكنهم يضطرون ، تحت الظروف القاهرة ، على أن يظلوا غير مدركين لهذه العظمة فى هذه الحياة . كم من الأسباب الوجيهة وكم من المغريات البريئة تجتذب حب استطلاعنا إلى مثل هؤلاء الأشخاص الأفذاذ . سنحاول التعرف عليهم ورؤيتهم عيانا كما نرى أنفسنا ، فكل ملاحظة وكل إشارة تخصهم تهمنا بالغ الأهمية . . . والنفوس العظيمة التى مضت لحال سبيلها لم يبق منها صور مجردة، أما ميزاتها الخارجية، لا . . بل وحتى الداخلية — فى بعض الأحوال — والتى كانت تتصف بها فقد ذهبت إلى العالم الثانى هى الأخرى ، ولم يبق إلا أن نعتمد على التاريخ فى تصوير بعض الذكريات البسيطة التى لها أقل علاقة بها ومع ذلك فهذا التاريخ — على مافيه من نواقص وعيوب — هو الكنانة التى احتفظت ببعض الذكريات والتى لولاها لأضحت فى خبر مكان . إن الرسائل المتبادلة بين شلر وجوته تمتاز بميزة ثمينة للغاية وهذه الميزة هى الحقيقة بالذات ، وهى تتجلى فى كل الظروف والأحوال ، سواء كان ذلك من جهة أصالة الحقيقة الواقعة أو الرأى الخاص بهذه الحقيقة ، أما الإخلاص فبين بكل وضوح فى مثل هذا الأسلوب ، واللطف الطبيعى لا يمكن أن يعرقل حق حرية الكلام أو الفكرة فى مثل هذه الأحوال ، ولم تكن الغايات إلا غايات شريفة . وكان الإخلاص المتبادل بين الطرفين من الوضوح لدرجة أنه كان يتعذر على أى ستار مها بلغ سمكه على إخفائه ، وعلى هذا فكلا الصورتين الذاتيتين تشبه الحقيقة الأصيلة وعائلها أحسن المماثلة . وقد يرغب بعض القراء أن يرى مزيجا مما يمكن أن ندعوه بالشؤون المنزلية مختلطاً بالآمال والمخاوف والمشاعر التى كانت تساور الشاعرين العظيمين ، لما للأول من علاقة متينة بالحياة الإنسانية الاعتيادية ، ولكن بالرغم من بحثنا المرهق الطويل لم نعثر على شىء من ذلك ، مع علمنا الأكيد أن هذا النقص نادراً مايحدث فى المراسلات الحديثة ، وعلى هذا فإنه لم يتبق لدينا فى هذا الخضم الواسع فى الخير والشر والحالة الماشية والعاطفية كالفقر والغنى والفرح والحزن ، قلنا لم يتبق لدينا إلا النزر اليسير وإلا ماشح وقل ، ولعل رغبة القراء الذين يعيشون فى بلاد هذين الشاعرين فى ذلك أقل لأنهم على اتصال بالحياة اليومية التى واكبت حياة الشاعرين ، مع اختلاف فى الزمن وبعض العادات التى تغيرت تبعاً للتطور بخلاف الأجانب الذين يرغبون رغبة ملحة فى استطلاع شؤون البلد الذى ترعرع فيه الكاتب والشاعر والأديب، وهذا جلى وواضح، وعلى أى حال يجب الا ننسى أن شلر وجوته أديبان ، وأن حياتهما الاجتماعية ماهى إلا هيكل الوجود الفانى ، وليس لهذا الهيكل علاقة بالوجود الروحى إلا كما تكون علاقة الخضوع والتبعية ، وهذا بحد ذاته لا يحتاج إلى ذكر مستفيض . زد على ذلك أن الناس المثقفين — نظراً لمزاجهم الطبيعى — ينفرون من الخضوع للعواطف الهائجة ، ولايظهرون مايختلج فى نفوسهم حتى إلى أقرب المقربين اليهم . وهذا مايخفف من حرارة المراسلات ولكنه فى الوقت نفسه يزيد من سعادتهم الخاصة ، لأن من يحمل قلبه فى ردنه لا يأمن عليه من نقر الغربان كما يقول المثل السائر ، وعلى الرغم من أننا لانبخس اعترافات روسو حقها فى الإفصاح عن مكنونات قلب الكاتب ؛ إلا أننا لانجد شيئا من هذه الاعترافات الجريئة فى هذه المراسلات موضوع البحث

وفى الوقت ذاته هناك بعض الآثار ذات الطابع المنزلى منتشرة هنا وهناك نتقبلها ونحن مسرورين ولانؤاخذها بشىء غير ندرتها، ولكن هذه المراسلات تحتفظ بصورة ذات أهمية قصوى ، إذا اعتبرناها حق اعتبارها ، وهى التى تشغل بالنا أكثر من تلك القسمات المنزلية . فهى تظهر لنا عقليتين مبدعتين شاعريتين ، تنميان ثقافتهما بصورة منظورة ، وتتقدمان من درجة إلى أخرى

(٤) بناء شامخ فى أثينا

فى القوة والجلاء والاستعلاء ، وهما لا يسيران فى طريق واحدة بل فى اتجاه واحد . ومن هنا التقدم يمكن لكل شخص — مهما بلغت درجة ثقافته — أن يستفيد فائدة نفسية كبرى من هذه الدروس الفنية بمحتواها الأدبى . والقيمة الكامنة فى هذه الدروس تزداد كلما تقدمت المراسلات ، مع اختلاف فى التطور ، وتظهر على الخصوص على سيماء شلر ، الذى يختلف عن صاحبه بصغر سنه وتأثره به ، وهذه السنوات الإحدى عشرة تعتبر أهم فترة من حياة شلر الروحية . وفى الحقيقة إن هذه الفترة يمكن اعتبارها التأريخ التقدمى منذ عثوره على الطريق المستقيم الذى نهجه فى مستقبل أيامه

ولا يعنينا الآن التطرق إلى صفات هذه الوسائل ولا إلى محاسنها سواء كان منها العرضية أو الجوهرية ، على ماهى عليه من قيمة كبيرة . أما العلاقة المتقابلة الشريفة الصريحة التى تظهر بين المراسلين وأسلوبهما وأهمية كل ذلك وما يتصف به هذا العمل من وجهة النظر الفلسفية والبيوغرافية ، فنأمل أن نوفيها حقها جيماً فى مناسبة مقبلة . ومع ذلك فبعض التأملات المجردة والاستنتاجات الأخرى ستبرز من تلقاء نفسها ، وستظهر فى بحثنا هذا ، على الرغم من أن القراء الإنجليز لا يهتمون بالرسائل قدر اهتمامهم بشخصية الكاتبين الشاعرين . فالرأى العام له بعض الإلمام بجوته ، ولكن رغبته فى التعرف على شلر أكبر ؛ لأن معرفته به قليلة جدا ، وعلى هذا فإن رغبتنا الآنية تتلخص فى تقريب شلر إلى نفوس القراء . كان يجب أن نذكر شيئا عن شلر فى مجلتنا ، ليس لأهميته فى الآداب الألمانية وحسب ؛ بل فى الآداب الأوربية كذلك ، وهذه خطيئة نأمل أن نكفر عنها الآن وفى بحثنا هذا . أثبت الرجل عبقريته الشعرية والفلسفية بسلوكه وبسلسلة كتاباته التى أبانت ذلك للجميع ، يتجلى ذلك فى إعجاب أمته به فى أثناء حياته وشهرته التى طبقت الخافقين خلال الخمسة والعشرين سنة التى أعقبت وفاته ، هذه الشهرة التى استمرت فى النمو والتوسع وتثبيت نفسها ، وهذا مالم ينله إلا ذو حظ عظيم . وليس يخاف أن عدم ذكرنا له ليس مرده إلى عدم إعجابنا به ، بل لأن هناك كثيراً من الآداب الأجنبية تحتاج إلى الشرح والتفسير بخلاف شلر الذى يفسر نفسه بنفسه . عتاز عظمة شلر ببساطتها ، وأسلوبه فى عرض هذه العظمة مفهوم من قبل كل شخص . ومن بين الكتاب الألمان الذين يمكن اعتبارهم من درجته ، باستثناء كلوبستوك ، يعتبر شلر أبعد ما يكون عن الوطنية بمعناها الضيق ، اللهم إلا إذا اعتبرنا كلمة ألمانى بما تمنيه من صدق وإخلاص ونبل وشهامة . أما أسلوبه فى التفكير والنقاش فهو أوربى مافى ذلك ريب . وعليه فليس غريباً أن نلاحظ أن أى كاتب ألمانى آخر لم يقابل بمثل هذا القبول الحسن لدى الأجانب ، ولم يحظ بمثل ما حظى به بصورة دائمة . فجعله الفرنسيون قبلة أنظارهم ومطمح مقاصدهم ، يتبين ذلك من ترجمتهم لمؤلفاته وشرحهم لها وتمثيلهم لرواياته على المسرح ، واحترام أكثر النقاد له احتراما بالغاً . وهكذا أصبح شلر لدى الرومانيين (٥) الأستاذ الأكبر والمثل الأعلى والسفير الوسيط بين المدرستين القديمة والحديثة ، وغدت مؤلفاته جسراً ذهبيا يصل حدائق فرسايل بأرض العجائب(٦) . وكذلك الحال معنا ، نحن الذين لانعير أهمية للرومانسية ولا للكلاسيكية ، وخصوصاً بعد أن ذهبت ريح الشادة التى أثارها (باولز) بخصوص الشاعر بوب، على أن ذلك لايمنعنا مطلقاً من أن نشعر بالاحترام العميق له؛ واحترامنا هذا لايقتصر علينا وحدنا ؛ بل يتعدانا إلى كل شخص له أقل ميل شعرى . فقراء الألمانية ، وهؤلاء يزدادون باطراد مستمر يعتبرون شلر باكورة الدراسات ، وحتى ثقلاء الفهم منهم يجبرون على الاستمتاع بجمال كتاباته . أما الأشخاص الذين لا يعرفون الألمانية فعندنا لهم تراجم كثيرة ومتعددة ، ولو أن هذه التراجم تفقد كثيراً من رونق الأصل ، إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون سدا حائلا بينهم وبين التمتع بأشعة نور الشمس الأصيلة. وهذه التراجم ستوقظ الحب فى القلوب الحساسة والنفوس المرهفة مما سيدفعها حتما إلى الإدراك المباشر...

وأهم جزء من واجبنا الآن هو الدفاع عن شلر وتوكيد قيمته ووضعه فى المكانة اللائقة به . إن التعريف بكتاباته مستمر بسرعة وبالطريقة الصائبة التى يمكن إحرازها بالدراسة القريبة للقلب وبالمحبة التى تعمر قلوب الذين أوتوا الفهم النزيه وروح التطلع التى لاتنى

(٥) هم أتباع المدرسة الإبداعية المعروفة (٦) بين القديم والحديث ، وعالم العجائب مكان خيالى لاوجود له الا فى مخيلة الشعراء والأدباء.

تبحث وتفكر وتعمل على الحصول على أعلى درجات الـكمال .
أضف إلى ذلك أن مؤلفات شلر لا تحتاج إلى أقل الشروح ، فهى تشرح نفسها بنفسها كما ذكرنا سابقاً . فقيمة مثل هـذا النوع من العظمة وشاعرية من هذا الطراز تظهران سافرتين مكشوفتين، فكتاباته لا يمكن أن يصل إلى مستواها أحد لما تمتاز به من صراحة قل أمثالها وعزت على منال الـكثيرين

وما من شك أن واجب النقد يقتضينا أن نوفى حق مثل هـذا الشاعر الذى فسر معلميات المجهول . وكل شاعر يجد نفسه مولوداً فى محيط تافه ، وعليـه أن يجادل ويناضل للتخلص من قيود صغار العالم الواقعى إلى حرية العالم المثالى اللامحدود.. وتأريخ مثل هـذا النضال يعتبر فى الوقت ذاته تأريخ حياته نفسها ، ومن هذا يمكننا أن نستمد عبراً ذات أهمية كبرى . ولم يجز سعيه الشاق هنا — على سموه — أى جزاء اللهم إلا إذا اعتبرنا الجزاء ذاتيا . ولـكن قانون وجوده بحد ذاته ، اضطره إلى قبول مثل هذا العمل الشاق والاستمرار فى أدائه وتحمل أعبائه ، وإلا كان البديل لذلك التعاسة بعينها ، وقد تخلق التعاسة نفسها مواهب وكفايات ، وكثيراً ما كان الأمر كذلك فى معظم الأشخاص الذين ابتلوا بهذه التعاسة ...

أما اضطراب شبابه فهو (اضطراب العبقرية) التى كانت تظهر أحياناً وكأنها سجية جامحة .. وكأنها تكهن بالرسالة الخفية القوية التى أرادته لها السماء ، لـكى يطهر نفسه من أدران الحياة ويستعد لما أريد له من واجب مقدس وأمر عظيم ، هـذا الأمر الذى يندر من ينفذه أو حتى يلتفت إليه ، أما ما يخص المتحذلقين ومن لف لفهم فأمر عبث لاطائل تحته .. وأما أصوات ضجيجهم وعجيجهم فتذهب مع الساعة التى يقضون فيها . وطبيعى ألا يعنى الـكمال الروحى لعامة الناس شـيئاً إلا كما تعنى الهمسة العابرة الغارقة فى ضجيج العالم

والحال كذلك حتى مع (بايرون) و (برنز) اللذين أوتيا أذناً حساسة لالتقاط الرسالة السماوية (هؤلاء الذين ينطقهم الوحى السماوى) فيصعب عليهم التخلص من الارتباط بالجسد والدم ، وبدلا من العيش والـكتابة عن القوم الذين يحيون بين ظهرانيهم يكتبون عن الخلود الذى يبقى على الزمن والذى يظل ملازماً لهم ، وبدلا من أن يعيشوا مرضيا عنهم (يعيشون فى الـكل فى الخير وفى الحق[٧]) ولا شك أن هذه النفسية وهـذا التأرجح بين الفكرتين والتوسط الفاشل المؤلم بين الحق والباطل هو الخطيئة المقلقة والشقاء الرئيس للانسانية فى كل أدوار حياتها . وتعمدت النصفية هذه فى هذا الوقت تعميداً جديداً واتخذت اسماً غير اسمها وهو الاعتدال وأصبحت هذه فضيلة وطريقاً وسطاً . إن حالة كثير من النصفيين الذين وهبوا طبيعة شريفة وفاضلة لتدعو إلى الأسف المؤلم

والآن دعنا نفتش عن سفينتنا ذات الحولة الغنية بين هـذه السـفن التى تحطمت فى خضم الحياة ، ونسأل ربابنتها عن أحوال سفرتهم . وما من شك أن شلر يمثل فى نظرنا هـذه السفينة الناجية ، وإنا نتساءل : كيف تمـكن هذا الرجل من النجاة ؟ ومن أية جهة حاول اختراق سر الطبيعة الروحية ؟ ومن أية منطقة تمـكن من التحليق فى سماء الشعر ؟ وتحت أى الظروف الخارجية وبأى القابليات الداخلية ؟ وبأى الوسائل وأية نتيجة ؟ بديهى أنه ليس فى مكنتنـا ولا مكنة الظروف المحيطة بالقراء فى هذا الخصوص الإجابة الشاملة القطعية على مثل هذه الأسـئلة .

ومع ذلك فيجب أن نشرع بالبداية النـاقصة حتى نتمكن من الحصول على النتيجة الـكاملة . ونظرة شاملة على سـلوك هذا الإنسـان كما كان يظهر وكما كان يحيا ، سـواء كان ذلك فى مجال العمل أو فى الشعر ، كافية لقبوله لدى من يعرف الشئ القليل عن شلر ، وذلك يعتبر فتحاً فى طريق المعرفة الحقة ، أما الذين هم على اتصال به فينفعهم ذلك كشاهد على أحقية مافكروا ويفكرون به .
لدينا بيانات عديدة منتشرة هنا وهناك للتعرف على حياة شـلر الشخصية ، وهذا ما يجعلنا نغضى عن ذكر قصة حياته التى تعتبر معروفة الآن . والذين لا يزال حب الاسـتطلاع متمكناً منهم يمكنهم أن يشبعوا مثل هذه الرغبة بالاطلاع على كتاب (حيـاة شلر) المطبوع بالإنجليزية أو (حياة شـلر) فى مقدمة الطبعة الفرنسية لرواياته الدراماتيكية أو فى مقدمة الطبعة الإنجليزية لمؤلفه (حرب الثلاثين سنة) . وفى دراستنا هذه نرجو أن نوفق فى شرح الناحيتين العملية والتأملية من حياته ، أما الوقائع التى تداخلت فى تاريخه المرضى فستظهر فى معرض هذه الدراسة

(٢) كلام الشاعر العظيم جوته

للـكلام بقية

يوسف عبد المسيح ثروت

خاطرة

أين السلف الصالح ؟

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

قد تباده المرء أمور فيها من العجب مايمد البادهة ، والعلم نور الله فى الصدور وهو لا يهدى لعاص ، ولا يهتدى به ضال ، ولا يسير فى هديه مضل !

وللعلم « كرامة » يجب أن ترتفع عن الشهوات ، وتخاصم الأهواء والنزعات، لـكنه أرخص فى سر تخص النافع واتضع باتضاع الخصاصة النفسية ، فأصبحت لاتجد إلا أنقاضا على هيئة شخوص لهم أناقة المظهر ، وشناعة المخبر ، وفيهم بروق النفاق ، ومروق الرياء ، وبقلوبهم شح الوفاء ، وكرم القدر ، يلبسون لـكل حال لبوسها ، ويسيرون فى كل ركب ، وقد أزالوا عن نفوسهم توقر المحافظة ، وتوق المؤاخذة ، واندفعوا مع تيار الحياة ، يحتالون عليها ويتنافسون فى أسلابها ، حتى سلبوا المهابة ، وأضاعوا معانى القناعة !

أين السلف الصالح ؟ وأين مجد العلم ؟ وأين قوة الروح لدى العلماء ؟ لقد كانت بطونهم جوعى وأرواحهم شبعى! وكانت حلوقهم ظماى وعقيدتهم ريا ! تسابقوا فى الفضل ، ولم يتنافسوا على الفضالة ! ، وانطلقوا مع الملائكة ولم يلحقوا فى ركاب الشراهة كانت يدهم رخصة ولم تـكن رخيصة ؛ وكانت رغباتهم معززة ولم تـكن ملتذة !

* * *

رحم الله عهدا تنوسيت فيه آمال ومطامع ، واتصلت فيه وشائج العلم فى أروع صوره! أين ذهب هذا العهد ولم يتغير الزمان؟

لقد كان لى جد يدرس فى معهد دينى ، ويدرس العلم فى مسجد ، ثم يتقاضى ستين قرشا وهو عالم ممتاز ؛ ثم وثب راتبه إلى عشرة جنيهات فى مدى ثلاثين سنة !

إنه الشيخ أحمد بدر العالم الدمياطى الذى قابل الإمام محمد عبده فى أخريات حياته ، وأطلعه على كتاب فى « المنطق » جعله حسبة للراغبين ، وأخفى عليه أمر راتبه حتى علم ؛ فجازاه وهو راض قانع !

إنى لأبصره بعد خمس وثلاثين سنة — وأنا ابن سبع سنين — يجتمع فى حلقته جمع جامع يأخذ عنه ، ويقبس منه ؛ وأكاد أتبين معنى مايقول لأن علمه مشرق الروح ، وأنس القلب ، وراحة النفس ؛ فأين ذهب هذا كله اليوم ؟

* * *

لست متقصدا بهذه الإشارة المباهاة ، وإنما هادف إلى المقايسة وهل ينفع القياس؟ لقد انصرف هم العلم إلى التعالم ، واتجهت همة العالم للمغانم ؛ وذهب نور الهالة الذى كان يلمع فى الوجوه المؤمنة الآمنة ؛ فتنفضى منها الأبصار !

فى الأمس القريب كانت الدعوات تترى فتهتز أعواد المنابر بالدعاء للملك الصالح المخلص فى طاعة ربه ؛ ثم بدل دليل الفساد وانطوى العهد ؛ فسكتت الألسنة بعد أن أسكتتها المباغتة وألجمتها المفاجأة ، فما الذى حال بينها وبين التلميح وهى التى تقود العامة

إن النفاق داء وبيل ، ولـكنه فى قلوب العلماء آفة !

نريد أن يكون العلم ذا قرار فى القلوب ، تحصنه الهيبة ، وترفعه الـكرامة ويحفظه الوقار !

نريد ترك التشدق بالألفاظ ، والتفصح فى العبارة ، والتكلف فى القدرة . نريد علما نابتاً من الإيمان ، فيه لذة الوجدان الطاهر والروح الصافى !

* * *

إن زياد ابن أبيه كان على ماكان عليه وقد قال : أيها الناس لايمنعكم سوء ماتعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ماتسمعون منا ؟ فإن الشاعر يقول :

إعمـل بعلمى وإن قصرت فى عملى
ينفعـك قـولى ولا يضروك تقصيرى

فهل يريد العلماء أن يكونوا على مذهب زياد فى أداء الرسالة !

اللهم إن العلم فى الصدور لـكن العمل به فيه قهر للنفس وزجر للهوى وقتل للشهوة ، ومغاضبة الشيطان ، واقتداء بالسلف الصالح ، فتى يفيق من امتلأت رءوسهم وقلوبهم هواء ؟

أحمد عبد اللطيف بدر

ملك وشعب ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

ذكرتني حوادث مصر الأخيرة يوم ثار قائدها الجبار وحواريوه المخلصون بوجه الطاغية فأزاحوه عن عرشه وأطاحوا به بعيداً عن البلاد التي نكب أهلها في أرزاقهم وحرياتهم، وأخرجوه ذليلا مهانا بعد ما استردوا الحرية التي فقدوها طيلة سنوات الظلم والرشوة والفساد، وبعدما شبع ذلك الملك الخليع من أكل اللحوم البشرية وروى نهمه بشرب الدماء، وبعدما فجر ماشاء له الفجور وفسق ما شاء له هواه أن يفسق، وقامر بأموال الشعب الذي ائتمنه فخان، ووعده فماطل وأخلف، بقصيدة قالها شاعر يكاد أن يكون منسيا؛ منبها الملوك الذين يهزؤون بمصالح الرعايا فتكون خاتمة حياتهم الفاجعة كخاتمة «فاروق» الذي صح فيه قول الشاعر البغدادي:

أعطيت ملكا فلم تحسن سياسته   كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

أو قول غيره

ابك مثل النساء ملكا مضاعا   لم تحافظ عليه مثل الرجال

وهذا الشاعر هو المرحوم داود بك عمون وقد نشره في مجلة «الزهور» التي كان يصدرها في مصر المرحومان أنطون الجميل وأمين تقي الدين، سنة ١٩١٤ «وهو شاعر مقل ولكن قليله رفعه إلى منزلة قصر عنها الكثيرون من المكثرين. ويمتاز نظمه بمتانة السبك وفخامته وسمو المعنى وجدته، ويدل دلالة واضحة على توقد ذهن وشدة عارضة وعزة نفس، أما نفسه فجاهلي عصري معاً» (١)

ولما كانت الحالة الآن تستوجب الاطلاع على ما كان يعتلج في قلوب الشعراء آنذاك من شر مستطير ينال الشعوب من جراء ظلم الملوك لها — والشعراء أنصاف أنبياء — أحببت أن أعرض على قراء «الرسالة» الزاهرة تلك الخريدة العصماء التي ما كانت إلا صرخة في وجه الظلم ولكمة في صدر الملوك الطغاة الذين بلغوا منزلة من الضعة تشمئز منها حتى الذئاب في ذلك الزمن، فكيف بالشعوب الآن وقد أزاحت عن نواظرها براقع الغفلة والجهل وفتحت قلوبها إلى الخير والحق والجمال

اللهم اهد ملوك الشرق وساسة الشرق إلى ما فيه صلاح الشعوب ورقيها لتتواكب الحرية ولتأخذ حقها في الحياة، لا أن تسد آذانهم عن سماع صراخ المتوجعين وشكوى البائسين الجائعين.. وهاهي ذي رائعة عمون اللبناني المولد (٢).. قال:

عذيري من خلق باسل   أحد وأمضى من الذابل
صليب على القسر لا يلتوي   إذا غمزته يد الناقل (٣)
إذا شاقني الأمر صعب المنال   مضيت ولو أنه قاتلي
ولو حال من دونه حائل   مشت إخمصاي على الحائل (٤)
حديد قوي النفس ذو همة   تضايق في جسد ناحل
وأورثنيها فتى أمثل   وأورثها لفتى ماثل

* * *

بلوت الزمان، وأهل الزمان   نخذ رأي مختبر عاقل
رأيت «الملوك» إذا أطلقوا   أضر من الجارف النائل
نفوس الرعايا، وأعراضها   ، وأرزاقها، أكلة الآكل
وعودهمو برقها خلب   وأقسامهم ضحكة الهازل (٥)
ولو عقلوا قيدوا نفسهم   ومن لك بالمطلق العاقل
فتلك القيود، ضمان العروش   توطدها في المدى القابل (٦)
حقوق «الملوك» بتقديسها   دعاوى على الحق للباطل
هو الأجراء وإن توجوا   عليهم لنا عمل العامل
وما ميز الله أشخاصهم   بشئ ولكن رضى الخامل

* * *

بني الشرق هبوا فقد طالما   زحفتم إلى الدرك السافل (٧)

(١) مختارات الزهور ص (٨٩)

(٢) يشير نفسه إلى ذلك فيقول مردداً حنينه إلى لبنان

يا بني أمي إذا حضرت ساعتي والطب أسلمني
فاجعلوا في «الأرز» مقبرتي وخذوا من ثلجه كفني

(٣) صليب: قيل قوي وصلب

(٤) إخمصاي: مثنى إخمص القدم

(٥) الخلب: الكاذب، والأقسام جمع قسم: اليمين

(٦) القابل: الآتي. القادم. المقبل

(٧) ورد البيت في المختارات على هذه الصورة وعجزه زاحف وقد أصلحناه

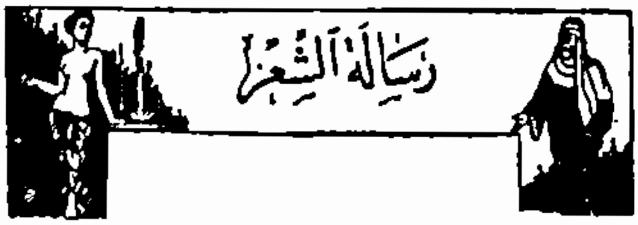
بني الشرق هبوا فقد طالما   زحفتم في الدرك السافل

إلامَ تنامون عن حقكم   وتعبث فيكم يد العامل
ويظلمكم رجل واحد   وأنتم عداد الدبى النازل (8)
فدونكمو العلم فهو المحرر ، والرق لازمة الجاهل
وخلوا الديانات طى القلوب   وكونوا عن الخلف فى شاغل
ألم تنظروها غدت آلة   لتفريق جمكمو الحافل
ولا ترهبوا الموت فالموت لا   يؤخره وجل الواجل

تلك هى الصاعقة التى انشقت عنها سماء فكر الشاعر فكانت والحق يقال نذيراً لكل جبروت لا يؤمن بحقوق الناس ، سقتها للقراء الآن لتكون شاهدا على أن الظلم الذى نحسه الآن كان يشعر به قبلنا أحرار الفكر والعقيدة.. هلا يتعظ السادرون فى غيهم من ملوك الشرق !

(8) الدبى : الجراد

بغداد   عبد القادر رشيد الناصرى



وحى البردة

للأستاذ ميشيل الله وردى

أنوار هادى الورى فى دارة العلم   رفت على ذكر جيران بذى سلم
وأرسلت نغم التوحيد عن ملك   كالروح منطلق ، كالزهر مبتسم
فزج روحك بالروح التى ازدهرت   يغنيك عن مزج دمع ساجم بدم
وشمك العطر فواحاً بروضتها   ألذ من عشق ريم القاع والأكم
ومن يهم بعظيم يتحد معه   بالرأى والفكر قبل الوسم والأرم
والحب صنوان حب الروح خيرهما   فلا تكن للهوى الفانى بملتزم
ياليت أحلام عمرى لم تضع بددا   بحب قصر من الأوهام منهدم
وليتنى لم أهم إلا بمن عرفوا   برقة القلب لا بالظلم والعقم
فكم حبيب إذا خالفت فكرته   جازاك بالصد قبل البحث فى التهم
ومن يساق حبيباً صد غرته   وسحر الحانه يندم وينفطم
فاربأ بنفسك أن تنهار من ألم   واربأ بحسنك أن يكمد من سأم
واجعل هواك رسول الله تلق به   يوم الحساب شفيعاً فائق الكرم
هذا رسول الهدى فارشف على ظمأ   من ورده المنعب عطفاً شاف كل ظمى
كأنما قلبه ينبوع مرحمة   مستبشر بالرؤى جذلان بالنسم

* * *

يا أيها المصطفى الميمون طالعه   قد أطلع الله منك النور للظلم
وحدت ربك لم تشرك به أحداً   ولست تسجد بالإغراء للصنم
وكيف تشرك بالرحمن آلهة   لا يستطيعون رد الروح للرمم
عاديت أهلك فى تحطيم بدعتهم   من ينصر الله بالأصنام يصطدم
كأن ربك لم يخلق لدولته   سواك من مرسل بالحق معتصم
أدى الرسالة حتى ضج من سأم   أجناد إبليس واشتد الأسى بهم
وأفلست بعد إقبال جهنمهم   ولم تجد حطبا فى الأشهر الحرم
كأن أحمد بالأصفاد كبلهم   فارتد جيشهم المقهور بالسدم
شرع على أقوم الأركان أسسه   للعالمين نبي طاهر الشيم
غذى عقول الورى حتى أتاح لهم   عيش النعيم وتقام من الأثم
وعلم العرب حتى ساد نسلهم   هام الممالك وارتاحت لعدلهم
كأنما الشرع جزء من نفوسهم   فإن هم وعدوا استغنوا عن القسم
قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة   فإن هم قسموا أرضوك بالقسم
وخلدوا ملكهم ريان مؤتلقاً   وكل ما شادت الأطماع لم يدم
إن الممالك إن شيدت على جشع   تفرس ، ولا خير فى الحيتان للبلم
وقد يمل الفتى بالشيب من أرب   ولا يمل عبيد المال من بشم
أتون نار زفور جد محتدم   والمال يهوى بخلق جد مزدحم
لو أدرك المرء أن المال تاركه   لمل صحبة خوان الوداد عمى
ولو درى العاشق الموتور كيف سلا   أحبابه لم يبت يوماً يقربهم
كفاك هما فأهواء الدنى غصص   تودى بمعقول مثل السم فى النسم
والزهد راحة فكر من متاعبه   فإن دعانا وأهملناه ينتقم
هنا بفان فأغرانا وأذهلنا   وأى قلب بحب الأرض لم يهم؟

* * *

يا أزهد الناس فى الدنيا وفى يده   خزائن الملك والأنصار كالخدم
عجبت كيف تعانى الجوع مرتضيا   حظ الفقير ولم تلتذ بالتخم
ولم تبال بتيجان مرصعة   ولم تكنِ للآلى خاطا بمرتسم

تقول ربى أجرهم من عمايتهم ... وتصرف النفس نحو الورد الشبم
فاستضحك القوم هزءاً واستبدبهم ... وهم فصيرهم لحماً على وضم
كأن أفكارهم من طول ما شقيت ... ألقت بأرواحهم فى وهدة الحطم
والنار حرقة نفس من ندامتها ... يا بؤس من لم يحد عن شر مغتنم
فاسلم بنفسك أن الروح يعوزها ... رضا الذى علم الإنسان بالقلم
فلا طعام من البأساء ينقذنا ... ولا لباس يقينا شدة الضرم
وهل تفيدك أبراج مشيدة ... والموت فى القصر مثل الموت فى الخيم
والمرء يفنى إذا لم يبق مأثرة ... تحيا إذا بانت الأجساد فى الرجم
والعمر إن طال يوم لا رجوع له ... فهيئ الزاد قبل الشيب والهرم
أسلمت لله أمرى فهو يكلؤنى ... كالزهر فى الحقل والأطيار فى العلم
ألست يا أيها الإنسان أفضلها ... وبارئ الكون قد حلاك بالحكم
فإن يغب عنك أن العيش مرحمة ... فكيف تدرك أن الفوز بالألم ؟
وكيف تسمو بروح بالثرى علقت ... وكيف تعلو على الآساد فى الأجم ؟

***

أقول للمصطفى أعظم بما ابتدعت ... آيات ربك من خير ومن نعم
لو يتبع الخلق ما خلدت من سنن ... لم يفتك الجهل والإعواز بالأمم
ولم ير الناس أحكاماً وفلسفة ... فى الاجتماع ستلقيهم إلى العدم
مذاهب أحدثت فى الأرض بلبلة ... وأورثتنا بلايا الحرب والإزم
أين الزكاة ، وأين المشر يحمله ... أهل الغنى للألى ماتوا من السقم
هل كنت تبصر ما أودى بعالمنا ... من قبل أن فاض بالويلات والنقم
أم هل تنبأت عما تم فى زمن ... سادت به فكرة الإلحاد والنهم
نبوة حارب الجبار منكرها ... وروع الناس بالتعذيب والحمم
فيا نبى الهدى حييت من علم ... بالطهر متسم بالعدل مدعم
أحببت دينك لما قلت أكرمكم ... أتقاكم ، وتركت الحكم للحكم
وقلت إنى هدى للعالمين ولم ... تلجأ إلى العنف بل أقنعت بالكلم
فى دينك السمح لا جنس ولا وطن ... فكل فرد أخ يشدو على علم :
الله أكبر والأكوان فانية ... ومن يلذ بجلال الله لا يضم
سبحان من بيديه الملك أجمعه ... وترجعون إليه يوم بعثهم

***

يا عبقرى الورى الأمى هل سمعت ... من قبلك العرب وحياً جد منسجم
آياتك الغر إعجاز تنزه عن ... ند ، وليس دعى الحب كاللدم
كأنما الناس آلات مبعثرة ... أخرجت منها جميل اللحن والنغم
من علم الجاهلى الغر مكرمة ... وأد البنات أم البالى من النظم ؟
محمد رد من ضلوا وعلمهم ... حق النساء اللواتى كن كالرمم
يا فخر أمتنا فى الأرض قاطبة ... وسيد المصلحين العرب والعجم
عزت كل فتاة حين صحت بنا ... م ولد العز غير السادة الحشم
فأنت أول من نادى بمأثرة ... يصبها الغرب من آلاء بعضهم
خاطبت كل ذكى حسب قدرته ... ولم تكن بغبى القوم بالبرم
وكنت أرأف بالمسكين من دول ... رثت بأمثاله سرباً من الغنم
إن كان ينجع طب الناس فى جسد ... فأنت تفعل بالأرواح كالحسم
ترعى اليتيم وترعى كل أرملة ... رعى الأب المشفق الباكى من اليتم
فاوع النفوس التى ذلت ويتمها ... فقد الكريمين : حب الخير والشمم
وهب لنا مبدأ حيا وتضحية ... بها تفردت بين الناس من قدم
ليت الإخاء الذى فى يثرب انتشرت ... راياته ظل فينا غير منفصم
إن القلوب إذا ألفتها ائتلفت ... والود حبل فإن تصرمه ينصرم
ماذا يطهر قوى من تنازعهم ... والصد يعلق بالأرواح كالزئم
أجفوة ورعاة غرهم طمع ... كأنهم عن نداء الحق فى صمم
أعمتنا فنسينا واستقل بنا ... هوى، فأمسى عزيز القوم كالحطم
فانفخ بنا نخوة تجمع أواصرنا ... وابعث بنا همة يا باعث الهمم
أبناء بابل أفنتهم مآثمها ... وآل فرعون ما شادوا سوى الهرم
وتدمر ومغانيها غدت خرباً ... والذكر بالخير غير الذكر بالإرم
يا ليت من شيدوها للفناء رأوا ... عقبى المبانى فأغنتهم عن الندم
زالوا وزالت مع الآثار عزتهم ... فإن تجادل سل التاريخ واحتكم
والمصطفى خالد فى الناس ما بزغت ... أم النجوم وممدوح بكل فم

***

يا أيها العرب المأثور مجدهم ... ما فاز بالمجد شعب شبه مختصم
أيصبح الخير شرا من تخاذلنا ... ونغتدى نهبة الغربان والرخم ؟
إن الكرامة تأبى أن نذل ولم ... نهضم حقوق الورى كالهائج الضرم
فاستجمعوا أمركم فالله وحدكم ... والمكر فرقكم فى حومة الجمم
وشرع أحمد بالقرآن هذبكم ... وجد فى أمركم بالحب والسلم
يا أيها المسلمون الفخر فخركم ... ونحن إخوانكم بالنطق والعلم
فأيدوا بالفعال الغر دينكم ... فقيمة الحب عندى أعظم القيم
والدين إلا هوى فى نفس عاشقه ... ومن يبح بالهوى يوم النوى يلم
سيان يا قوم من يقضى بلا أمل ... ومن ينال المنى فى عالم العدم

صوفية أدركتها النفس فانصرفت ... عن الدنايا ومن يهو العلى يصم
فاستهد بالروح فى الأفلاك واهو كما ... تهوى الملائك وجه الله واستقم
وقل لمن أدمت الأهواء مهجته ... أما اكتفيت من الدنيا بجهم ؟
رمت فؤادى بسهم الحسن فاتنة ... فاعجب لصب جريح ثابت القدم
ندت أناشيده نيران لوعته ... ففرجت عن عليل بالجمال ربى
إن لم يخلد فؤادى الحب فالتمسى
يا نفس كهفا يبطن الأرض واعتصمى
على المنية تنسانى كما نسيت ... عرائس البحر صيد النسر فى القمم

***

يا نفحة من جنان الخلد سارية ... كالورد يلثم فى الأسحار من أمم
إلى محب ومحبوب ولو زعموا ... أن المحبة بالأنساب والرحم
فالناس من آدم بالمصطفى اجتمعوا ... وشرعة الحب أم الناس فأتم
يا أجمل الخلق سيماء وأظرفهم ... طبعاً وأوفاهم بالعهد والذمم
عشقت منك صفات جل مبدعها ... كالغيد تفتن لب الشاعر الفهم
يرنو فيمنحنه وحياً يخلده ... ورب حب مثير جاء بالعظم
ورب نجم منير يستضئ بكم ... «فأنتم الشمس لم تدرك ولم ترم»
وحسن شعرى بكم من شمسكم قبس ... والنبع ما سال لولا صيب الديم
فإن أجدت بهذا الطل مدحكم ... فكل معنى بكم كالهاطل العرم
حيـاك ربى بآيات مفصلة ... والناس أعجز عن إدراك ربهم
لكنها سورة بالشعر أرسمها ... لأستجير بها إن بت كالحلم
يا هادى الفكر أعداء الإله إلى ... عبـاده منة من فضله العمم
إن يمدحوك بأبيات منمقة ... فأنت تفرق قلبى عن قلوبهم
تبارك الله لو شامت مراجه ... لشع نورك بين الناس كلهم
إن لم تكن بوكيل فاشفعن لنا ... بحق ترديدنا التوحيد فى الحرم
صلى الإله على محياك فى مهج ... تحيا بها كحياة النور فى السدم
صلى الإله على مثواك ما صدحت ... ورقاء أو هينمت عطرية النسم
صلى الإله على ذكراك ممتدحاً ... حتى تؤم صلاة البعث بالأمم

ميشيل الله ويردى

طيف الهجرة

للدكتور زكي المحاسنى

سكنوا البلاد وبغتة برحوا ... والنور يسطع حيثما نزحوا
ذهبوا مع الريح النداة وما ... عادوا فليت بوصلهم سمحوا
أترى على بطحائهم بطلا ... متلثما وكأنه شبح
ماجت عليه البيد فى نفر ... جابوا الرمال وبالسرى سبحوا
غنوا فرد القفر لحنهمو ... فحداؤهم بالبيد منطرح
قف بى على آثارهم فهمو ... شغلوا الفؤاد وبالهوى جرحوا
شاق الأوالى قبلنا طلل ... وقفوا عليه ودمعهم سفحوا

***

بأبى المهاجر وهو ذو فرح ... يسرى ؛ وكل مهاجر ترح
من فارق الطغيان حق له ... أن يستخف فؤاده المرح
ورعاه نجم منذ مولده ... هو نجمه ذاك الذى لمحوا
آكام يثرب ضاحكته دجى ... فلأهلها بطلوعه فرح
تركوا الغبوق لبشر طلعته ... وبوجهه دون الطلى اصطبحوا
أمهاجراً والبغى يتبعه ... وصحابه الأبرار ما رزحوا
من كان للفتح المبين سما ... لم يثنه الأعداء أن فدحوا
يا صاحب الصديق وارفة ... ذكراك ، منها القلب منشرح
عادت ، وهب العرب من وهم ... ولعودة الأمجاد قد طمحوا
كان الطغاة بأرضهم جالوا ... متصفين وفى المدى جمحوا
لا تدعهم يوما إلى خجل ... فيما بنوا ، لا يخجل الوقح
ويحا صلاح الدين هل رجعت ... حرب الفرنج وهل بها لقحوا
خدعوا الشعوب بسلمهم ولكم ... غالوا السلام وباسمه ذبحوا
إنا جنحنا للوفاء وهم ... لريائهم ومطالهم جنحوا
نصراً رسول الله إن لنا ... قوما لكل جليلة كدحوا
صبروا على مر الخطوب وفى ... يوم الوغى أرواحهم منحوا

***

مرت بى الذكرى كطيف هوى ... والذكريات مرورها ملح
فطرقت باب الوالهين وبى ... شجن يناديهم فهل فتحوا
أعممتهم بأحبتى هتفوا ... وبذكرهم فى حبهم صدحوا
روحى تطيف بأفقهم ولها ... عبر الفضا والغيب منسرح
نار تسعرنى وتبردها ... أنفاسهم هلا بها نفحوا
إن عزنى الكتمان بعد هوى ... فأخو الهوى المشبوب مفتضح
أذنبت فى الشكوى لحق لهم ... هجرى فليت على النوى صفحوا

زكي المحاسنى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مصر في مؤتمر الفن العالمي :

تردد اسم مصر هذا الأسبوع فى جميع أنحاء العالم ، وتناقلته وكالات الأنباء فى كل مكان على أثر الكلمة التى ألقاها الدكتور طه حسين فى المؤتمر الدولى للفنانين الذى عقد فى قصر الدوج بمدينة البندقية وأشرفت هيئة اليونسكو على تنظيمه وكان المؤتمر قد بدأ جلساته يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢

وكانت « الرسالة » فى أحد أعدادها السابقة قد نشرت بعض الأفكار التى ضمنها عميد الأدب خطابه الذى أعده لإلقائه فى هذا المؤتمر

وهذه خلاصة ما جاء فى كلمة الدكتور طه حسين

إذا كانت الأسلحة والنيران والدماء قد غيرت « وجه الأرض » فكم غيرت هذه الأشياء من « نفوس » الناس التى تعرضت بسبب ذلك كله إلى هزات عنيفة

القرن العشرون هو عصر الشك الفلسفى أو التشكك فيما وراء الطبيعة

سجل الدكتور ظاهرة قلة الإقبال على الأدب ومطالعة الكتب

أشار إلى جهود الكتاب لتبسيط آرائهم وجعلها فى مستوى إدراك أغلبية القراء وأثر ذلك فى الآراء الأصلية ذاتها

المعركة بين الكاتب والناشر ، يريد الكاتب من الناشر أن ييسر له من الوسائل المادية ما يكفل له العيش الكريم

من العسير الكتابة بكل أمانة وحرية دون مراعاة أى اعتبار مادى له علاقة بالاحتياجات اليومية

يدل التاريخ على أن الأدباء والفنانين فى كل بلد ، وفى كل عصر ، لم يعتمدوا قط على أدبهم وفنهم فى اكتساب قوتهم ، بل كانت دوما لهم مهن أخرى

إن ما يصل الكاتب من مكانة فى المجتمع الذى يعيش فيه يفرض عليه واجبات معينة إزاء المجتمع ، ويكون لذلك أثر أخلاقى فى تصرفاته وكتاباته يمس ماله من حقوق وما عليه من واجبات

* * *

والواقع أن هذه النقاط التى تناولها الدكتور طه حسين فى بحثه والتى تصور حالة الأدب فى العالم الآن ، إنما هى مستمدة من صميم الحياة الأدبية فى مصر ، بل تكاد تكون صورة واضحة لما يعانيه الأدب فى مصر

ومعنى هذا أننا نقاسى نفس التجربة الأليمة التى يعانيها الأدب والأدباء فى العالم كله ، وأن الظواهر التى ننقدها فى محيط الأدب المصرى ، ليست وقفا عليه وحده وإنما هى «ظواهر» طبيعية عامة

ويرجع كثير من النقاد والباحثين هذا إلى أثر الحرب العالمية الثانية ، فقد انتعش الأدب بعد الحرب العالمية الأولى وأخذ طوراً من القوة والحيوية والجد ، واستطاع الأدباء فى خلال تلك الفترة إنتاج طائفة من الأعمال الأدبية والفنية الخالدة

فلما جاءت الحرب العالمية الثانية واستمرت ست سنوات كاملة ، كان من الضرورى أن تكون هذه المرحلة الحرجة بعيدة الأثر فى اتجاه التفكير العالمى ، فقد ذاق الناس فى جميع أنحاء العالم — لا فى البلاد المحاربة وحدها — ذلك اللون الخانق القاتل من الحياة المضطربة المزعزعة ، مما أدى إلى تحول خفى فى النفسيات كان من أثره الإقبال على لون جديد من القراءة ليس دائما هو اللون الجاد ، وليس أبدا هو الأدب الرفيع

ومن هنا نشأت هذه « الأزمة » التى تكتنف الحياة الأدبية والفكرية فى الشرق والغرب ، والتى تتلخص فى عجز الأدب الرفيع عن أن يكون مورداً خالصاً ، وأن تظهر تلك الحيرة فى محاولة الكتاب تبسيط آرائهم حتى تكون فى مستوى أغلبية القراء ، وكذلك قلة الإقبال على الأدب

مجلس عالمى للفنون والآداب

وقد ألقى الدكتور جيم توريس بودبت المدير العام لهيئة اليونسكو كلمة تضمنت النقاط الآتية :

أن وظيفة الفنان لا تقوم أساساً إلا على الاختيار ومن ثم وجب أن نوفر لها الحرية، ولا يكون لهذه الحرية من معنى إلا إذا اقترنت بواجبات عميقة

عبودية الفنان تكون على نوعين: الأول أن يكون الفنان ملزما بالأخذ بتوجيهات خارجة عن فنه يمكن تنافلها وإلا نزل به العقاب. والنوع الآخر هو أن يتصور الفنان — وهو يساير أهواءه الخاصة — أنه يتمتع بقسط أوفر من الحرية فيكفر بقواعد فنه بأكمله ولا يكون مصيره إلا فشلاً فنيا

ليس عمل الفنان على الإطلاق عملا تجريديا، فالفنان ينتمي إلى بيئة بعينها، وتقليد بعينه، وعصر بعينه، وبلد بعينه، وكل هذا يجعل العمل الفني على صلة وثيقة بالتطور الفكري والنظم السياسية والاجتماعية

وقد طالب مدير اليونسكو بضرورة إنشاء مجلس عالي للفنون والأدب يناط به توفير المساعدة والتعاون بين الفنانين المبدعين من الدول جميعا وله الآن أكثر من نواة، مثل نادي القلم والمعهد الدولي للمسرح والمجلس العالمي للموسيقى، وجمعيات المهندسين، ولا ينقص هذه العناصر إلا جمعية للفنون البصرية واليدوية

أرستقراطية الثقافة

تقوم دار الكتب المصرية بطبع عدد كبير من المؤلفات الأدبية القديمة، التي تعد من أمهات الأدب العربي

كما تقوم الإدارة الثقافية بالجامعة العربية بتصوير ألوف المخطوطات العربية النادرة في العالم

وكانت بعض البعثات قد قصدت في العام الماضي إلى سانت كاترين في شبه جزيرة سينا لتصوير المخطوطات الأدبية والفكرية هناك

ولا شك أن هذه المؤلفات الضخمة تطبع، ولكن ما هي الفائدة التي تعود منها على الأدب والأدباء!

إن هذه الهيئات لا تعترف إلا بعدد من كبار الكتاب وكبار الباشوات السابقين فتهدي إليهم هذه المؤلفات لتوضع كحلية بين مجموعات الكتب المجلدة الموجودة في مكاتبهم وينتهي الأمر عند هذا الحد

ولارتفاع ثمن هذه المؤلفات، وعدم وجود طبعات شعبية منها لا يتيسر مطلقا لشباب الأدباء — وهم على كثرتهم فقراء لا يملكون قوت يومهم — أن يحصلوا على هذه المؤلفات أو يقرأوها!

وهذا ولا شك لون من أرستقراطية الثقافة، نرجو أن نتخلص منه في العهد الجديد، وأن نعمل على تيسير هذه الثقافة وهذه الألوان الأدبية حتى تجعل في ميسور كل مثقف الحصول عليها

من ٨ إلى ١٤ أكتوبر

في خلال هذا الأسبوع تتجدد ذكرى ثلاثة من عباقرة رجال الفن والأدب في الشرق والغرب هم:

عبد الله نديم	المتوفى في ١١ أكتوبر ١٨٩٦
أناتول فرانس	المتوفى في ١٣ أكتوبر ١٩٢٤
أحمد شوقي	المتوفى في ١٤ أكتوبر ١٩٣٢

ولا شك أن أناتول فرانس سيحظى بالكثير من التقدير من الصحافة الفرنسية ومن المجلات الأدبية

ستتناوله هذه الصحف من جميع نواحيه، شخصيته، أدبه، حياته، مبادئه، غرامياته..

أما عبد الله نديم وأحمد شوقي فسيمر ذكرهما مرور الطيف، لأنهما من الشرق، الشرق الذي ما زال جاحداً لبناته ورجاله ومجاهديه

لقد كافح عبد الله نديم الظلم يوم كان كفاح الظلم أقسى ألوان الحياة، واشترك في الثورة العرابية، وهرب، واختفى وطال به الاختفاء، وظل يتنقل تحت جنح الظلام ويغير مظهره، حتى لا يقبض عليه

واستطاع أخيرا أن يذهب إلى الآستانة وهناك وقع في القفص الذهبي الذي كان الخليفة عبدالحميد قد أعده للرجال الأحرار الذين كان يستدعيهم إليه ثم لا يطلقهم مرة أخرى

إن حياة عبد الله نديم هي صورة من الكفاح المرير في سبيل مصر في الوقت الذي كان لا يستطيع أي صوت أن يرتفع بكلمة الحق

.. ولا شك أن من حق عبد الله نديم علينا أن نكرمه ونحترمه، ليس لهذه الوطنية وهذا الكفاح وحده؛ ولكنه لأنه

الكتب

مواكب الناس

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

للأستاذ منصور جاب الله

الأستاذ نقولا يوسف كاتب مصور من الصفوة المختارة ومن الرعيل الأول الذين اقتحموا مممان القصة المصرية فمهدوا طريقها وسلكوا حزونها وألفوا ضروبها وطامنوا أشتاتها ، وإنا لنجد هذا القاص الممتاز يضرب فى هاتيك المهامه البيد منذ حقبة تزيد على ثلاثين عاما لا يربع على شيء ولا يتعثر ولا يتلبث

ونقرأ فى صدر كتابه الجديد جريدة بمؤلفاته التى أصدرها منذ عام ١٩٢٢ ، فنرى فيه الكافح الثابر الذى لا يبغى جزاء ولا شكوراً ، فهو لا يلجأ إلى الناشرين أو الوراقين لطبع كتبه ، وإنما ينشرها لحسابه الخاص ويوزعها هدايا على الصدقان والصحاب وما بقى منها بعد ذلك لا يكاد يأتى بجزء ضئيل من تكاليف الإنتاج !

ولكن عزاء الأستاذ نقولا يوسف أنه يؤلف حبا فى التأليف وتنفيسا عن رغبة مكبوتة فى ذات نفسه ، ومن ثم فإنه لا يضار أن سبقه فى منادح الشهرة والجد القصصى تلاميذ له وحواريون درسوا عليه أواسط العلم أو أعاليه ، فهو بهذا مغتبط أن تهيأ لهذا النفر من الشباب المتوثب طريق شقه لهم فساروا فيه

ولا على المؤلف الفاضل هذه النفقات الطائلة التى يخرج عنها لطبع مؤلفاته ، فإنما هى ضريبة المجد والخلق الفاضل الذى طالما غرسه فى نابتة هذا الجيل

وبعد هذه التوطئة التى لم يكن منها بد ، يطالعنا الأستاذ نقولا يوسف بمؤلفه الجديد « مواكب الناس » وإذ نتصفحه ونمضى فى قراءته إلى خاتمة المطاف يبدو لنا أن هذا الرجل ذا القلب الكبير يطوى بين جوانحه مأساة ، فقد ضربه القدر فى ابنته التى كانت ملء نفسه وريحانة عينيه فأظلمت الدنيا فى وجهه وأخذه الزعد من كل مكان فإذا به يعمد إلى مسلاته الواحدة ، وينشئ « الصورة » تلو « الصورة » ثم يلزها جميعا فى قرن ، حتى إذا أقبل الصيف بهجيره لم يرق له أن يستمتع بإجازته الطويلة كما استمتع سائر أنداده من المدرسين ! وإنما عكف على تنفيذ هذه « الصور » وإزجائها إلى المطبعة فهو غاد ورائح بين آلة الطباعة وباعة الورق وتصحيح التجارب وهكذا ، وما صرف صيفه الأطول على ذلك النحو إلا ليصرف عن نفسه أحزانها وأشجانها

ولقد كررنا كلمة « الصور » التى احتواها « مواكب الناس » عن عمد ، ذلك لأن هذا المؤلف الأخير مختلف تمام الاختلاف عن مؤلفه السابق « دنيا الناس » الذى قدمناه لقراء « الرسالة » قبل عامين فذلك كان أقاصيص فيها « حبكة » القصة ولها « عقدتها » تتساح بين أرجائها « المؤامرات » ويرين عليها عنصر « المفاجئات » بيد أن هذا الكتاب الذى بين أيدينا قد صدق فيه مؤلفه إذا أطلق عليه عنوانه ، فهو « مواكب » للناس تتلاحق ، وتتسابق ، ثم تسير على وتيرة واحدة حتى تفترق بها الطرق وتفرق عن سبيله ، وهو فى هذا يقول : لما فرغت من هذه « الصور » التى تحتويها هذه المجموعة ، استعرضتها جملة فاتضح لى أن أصحابها شخصيات

ابتدع فى الصحافة المصرية لونا جديدا .. ذلك اللون القائم على السخرية والتبكيت ، وهو الذى حور أخيرا فى صور الكتابات النقدية السياسية التى تقوم عليها معظم المجلات الأسبوعية !

أما شوقى فالحديث عنه طويل .. بقدر ما أدان العربية والشعر من دين وصفه أستاذنا الكبير الزيات عند ما قال إن شوقى كان تعويضا عادلا للعربية منذ قضى المتنبى .. ولكننا ونحن الآن نسمع قصائده تغنى ، وشعره يتردد على كل لسان ، ونذكر فضله فى ابتداع المسرحية الشعرية فى الأدب الحديث ... ندهش حين نرى أن عملا ما — يدل على التقدير — لم تقم به أى هيئة أو طائفة .. أين مثلا كرسى شوقى فى كلية الآداب ، أو أين مكانه فى دار الكتب ، أو تمثاله فى ميدان يطلق عليه اسمه !! أو الكتاب الضخم الذى وضع عن فنه وشعره

أما « أناتول فرانس » فلسنا فى حاجة إلى الحديث عنه فإن المؤلفات والآثار الأدبية التى تناولته فى جده وهزله وفنه . . أكثر من أن تحصى

أنور الجندى

حقيقية ، عاشت وعرضت لى فى الحياة فعرفتها ، ولهذا لم يكن لى كبير فضل فى ابتكارها ، وإنما الفضل لمن خلقها على هذا النحو ، تارة على بساطة وبراءة وأخرى على شيء من الغرابة والتعقيد ، فكان عملى — والحالة هذه — مقصوراً على نقلها من دنيا الواقع إلى دنيا الفن دون أن أبدى إعجابا هنا أو زراية هناك

انتهى كلام المؤلف فى كتابه الجديد فى حين أنه يحاول الاحتراس فى كتابه السابق بقوله « كل ماورد فى هذا الكتاب من أسماء الأماكن والأشخاص خيالى ولا يمس شخصية معينة بالذات ؛ فنرجو المعذرة إذا وقع تشابه غير مقصود بين الأسماء أو الصفات أو الحوادث »

فالكاتب الفاضل إذن قد حدد النهج فى كتابيه وفصل بينهما بمجاز ، ومن هنا نتقبل «مواكب الناس» على أنه طائفة من الصور الأخلاقية الاجتماعية أعمل المؤلف ذوقه وفنه فى اقتناصها وتجليتها على القارئين ، فبدت كواسطة العقد تختال للناظرين

وإن قارئا من القراء مايستطيع إذ يستطلع « مواكب الناس » أن يسترب فى أن صورة أو أكثر من صورها شكت بصره أو ضربت أذنه فى زمن من الزمان أو مكان من المكان ، ولكن ليس لكل إنسان تلك الطبيعة النقية المتساوقة التى جعلت الفن القصصى طيعاً ليناً بين أنامل السيد نقولا يوسف ، فهو يصور الواقع بريشة الفنان الذى يرى ويسمع ويتذوق ثم ينقل على القرطاس صوراً لا يكاد يتلوها القارئ حتى يرى فيها نفسه لا تريم ولا تتحلحل !

والطريف فى المؤلف أنه نقل صوره نقلا « مصريا » إن صح التعبير ، فعلى أنه يتقن أكثر من لغة أوربية ، لم يشأ فى كل هذه الصور — حتى التى وقعت لهفى أوربا — لم يشأ أن يصورها تصويرا أوربيا ، وإنما صورها كما يفهمها « أولاد البلد » ! وقد بلغ من هذا القمة فى التصوير والنقل الأمين

وليس لدينا فى الحق نقد على هذه الصور إلا أننا بصرنا فى بعض الأحيان بالكاتب يتحامل قليلا على بعض أبطاله ، ولعل ذلك ناجم من أنه رجل مثالى رغم أنه خب فى القصص الواقعى ووضع ، وأنه لم ينس مثاليته وإن تضاربت مع الفن الذى سلكه من زمان !

وإنا لنرى الكاتب بعد ذلك يحلق — فى بعض الصور — بأسلوب عال ، ثم يهبط بعد ذلك — فى صور أخرى — إلى أسلوب عادى ، ولعل مرد هذا أن الكاتب الفاضل عصبى المزاج لا يلقى أهمية كبيرة للأسلوب القصصى كما أومأ فى مقدمة كتابه الفريد

منصور جاب الله

النيل فى ضوء القرآن

تأليف الأستاذ أحمد الشرباصى

للأستاذ سعد الدين موسى كله

وهذا كتاب جديد فريد يحتل مكانته اللائقة به فى صفوف المكتبة العربية الخالدة ! أجل هو جديد فى نوعه — فريد فى بحثه وعرضه ! ولم لا وقد تعرض فى صفحاته الرائعة الممتعة إلى قضية النيل ودراسة هذا النهر « المبارك الروحات ، الميمون الغدوات » كما قال « عمرو » على ضوء القرآن الحكيم بعد أن قدم له بمقدمات تمهيدية ، من جهة اللغة العربية والتاريخ ، كما لم يفته أن ذكر لنا « النيل » عند الشعراء وفى مخيلهم ، وكيف أجادت تصوره قرائحهم فافتنوا فى ذلك افتنانا عجيباً ؟ ! وليس غرضى من هذه الكلمة المجلى التدقيق والتحقيق أو التفصيل والتحليل « فلذلك موعد آخر » إنما هو العرض السريع والسير الحثيث مع المؤلف أرجو أن أوفق فيه إلى جذب أنظار قراء الأدب ومحبى الحكمة وعاشق الثقافة لمطالعته لنفاسته وللافادة منه خاصة ، وهو نفحة عاطرة من نفحات « القلم الشرباصى » الرشيق الرقيق الذى ما فتئ كل يوم يطلع علينا بلآلئه ويواقيته العذارى الأبكار ، وغرره وورده الزواهر المشرقات كفلق الصبح أو وضح النهار !

والكاتب اللبق ، والأديب الحق فى رأيى — هو من يغوص فى أعماق الحقيقة فيبتكر لنا من أخيلته الشاعرة وذهنه الولود أفكارا وآثارا ، وأقباسا وأنوارا ، ناقضا بقدرته وعبقريته تلك النظرية القديمة البالية . « لا جديد تحت الشمس » ! وكذلك فعل الشرباصى هنا فبدأ ببيان اشتقاق كلمة النيل فى اللغة ومصدر النيل فى زوايا التاريخ ، منتقلا بنا إلى ندوة شعرية جميلة ، ناقلا لنا مختارات جيدة فذة — تدل على ذوقه البليغ — واختيار المرء قطعة من عقله ! ويطوى الحديث سريعا ليخلص إلى السنة والكتاب ، مستعرضا بعض الأحاديث والآيات فى براعة ولباقة وتنقيب ودقة . ويبدع الشرباصى أيما إبداع حينما يتحدث عن

مصر وفرعون في القرآن ثم عن بعض الرسل في مصر كيوسف وموسى عليهما السلام، مطعماً حديثه بآثار وروايات عن الصحابة والأئمة والمؤرخين في تمجيد «النيل» «ومصر» التي هي هبة «النيل» كما جاء عن «هيردوت» المؤرخ اليوناني القديم.. وهذا فصل من فصول الكتاب تحت عنوان — خيرات الوادي — يستعرض فيه غلات مصر وزهورها وحبوبها ونتاج أرضها المباركة الخصيبة بفضل هذا الشريان الطاهر المقدس الذي يجري في أوصالها وأعراقها منذ فجر التاريخ، وفصل آخر يعقده المؤلف عن ميزات النيل وواديه وهو مليء بالنوادر الفردة والآثار التاريخية والنصوص الأدبية والروائع الممتعة مما أنتجته عقول الأدباء والكتاب والرواة — وددت لو نقلته لك بأكمله — ولكن من الخير لك أن تنفرد به وحدك فتتذوقه بنفسك وتتملاه بذوقك «ومن ذاق عرف!»

وبعد فهذه صفحات أخرى تسير بك في إبداع وإمتاع، وفيها إهابة ببني مصر أن يهبوا، فقد طال بهم الرقاد! — إن النيل يفي لنا في كل عام، لا يتخلف عن الجريان مرة! — أفلا نكون معه أوفياء! و «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان!» قد عاك النيل فيضه قليلا أو رويدا، ولعله يراد بذلك أن تنتبهوا وتعتبروا، وتقدروا النعمة حق قدرها؛ وقد يزداد فيضه ليحذركم وينذركم، ويخوفكم من انقلاب النعمة نقمة! فأين الاعتبار يا أولي الأبصار؟!

ألا ما أبلغ هذا الكلام وأجله! أما واجبنا نحو النيل فيجليه لنا يراع الكاتب الموفق جلاء واضحا في بنود عدة بلغت «الثانية عشرة»! وأخيرا.. نجد أمامنا «ملحقات»: النيل في القرآن، أساس الوحدة هو الإسلام «وجعلنا من الماء كل شيء حي» وهي ثلاث خطب منبرية عصرية، جمعت فأوعت من الحديث الواعي الحصيف، والاطلاع الوفير، والأدب المستنير الغزير!

ألا حيا الله أستاذنا الشرباصي، ووفقه دائما لخدمة الإسلام والقومية والعروبة، وجزاه عن دينه ووطنه وأمته ولغته خيرا!

سعد الدين موسى كامل

البريد الأدبي

الطلاق الثلاث بلفظ واحد

يقول الأستاذ محمد أبو زهرة فى (لواء الإسلام ٤ — ٦) :

لا يقع الطلاق الثلاث بلفظ الثلاث ثلاثا ولكن يقع طلقة واحدة.. لذلك قرر كثير من العلماء.. أنه يقع واحدة . وقد روى ذلك عن بعض الصحابة كعلى بن أبى طالب وأبى موسى الأشعرى وعبد الله ابن مسعود والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف

وقال الأستاذ محمد زاهد الكوثرى (الإشفاق ٢٣ — ٥٣)

أسند ابن حزم (فى المحلى) إلى على أنه قال لمن طلق ألفاً : ثلاث تحرمها عليك ، ومثله فى سنن البيهقى . راجع المجموع الفقهى للامام زيد بن على، وأسند ابن حزم كذلك إلى عبد الله بن مسعود أنه قال بمثل ذلك، كما فى مصنف عبد الرازق وسنن البيهقى وغيرهما

وأما الزبير فابنه عبد الله من أعلم الناس به ، وهو لما سئل عن طلاق البكر ثلاثا قال للسائل : مالنا فيه قول فاذهب إلى ابن عباس وأبى هريرة فسلهما ثم ائتنا ؛ فأجابا بأن الواحدة تبينها والثلاث تحرمها ، كما فى موطأ مالك . فلو كان عنده عن أبيه أن الثلاث واحدة فى المدخول بها لما تأخر عن ذكر ما عنده ، لأن غير المدخول بها أولى بذلك الحكم .

وأنى يصح عن عبد الرحمن بن عوف خلاف مافعله هو فى طلاق امرأته الكلبية (المحلى ١٠ — ٢٢٠) وكان طلاقه إياها ثلاثاً : حتى أن من يرى أنه لا إثم فى الجمع بين الثلاث يستدل بفعل ابن عوف هذا ، كما فى فتح القدير لابن الهمام

ومن الدليل على وقوع الثلاث بلفظ واحد فى عهد النبوة حديث اللاعنة الذى فى « صحيح البخارى » حيث قال عويمر العجلانى فى مجلس اللاعنة : كذبت عليها إن أمسكتها يارسول الله ؛ فطلقها ثلاثا . ولم يرد فى رواية ما أنه صلوات الله عليه أنكر عليه ذلك.. قال ابن حزم : لولا وقوع الثلاث مجموعة لأنكر ذلك عليه

وفهم البخارى كذلك من هذا الحديث مافهمته الأمة جمعاء من الوقوع حيث ساقه فى صحيحه فى (باب من أجاز طلاق الثلاث)

أمين سراج

أكاذيب كلوب باشا

نشرت مجلة «العصبة» البرازيلية فى عددها الثانى من سنة ١٩٥٢ مقالا للصحفى الفرنسى «رينيه رانليك» الذى أوفدته مجلة «فرانس ألستراسيون» بعد مقابلته لكلوب باشا قائد الجيش العربى فى المملكة الأردنية الهاشمية لفت نظرى التصريح الكاذب التالى

قال كلوب باشا ردا على سؤال وجهه إليه الصحفى الباريسى :

« وللفرقة العربية — يقصد الجيش العربى — فى الشرقين الأدنى والأوسط مقام خطير ، حتى أن الاعتقاد الذى كان سائداً هو أنها كانت احتلت «تل أبيب» لو لم تتوقف الحرب بين العرب واليهود ، ولكن الكثيرين لم يترددوا فى القول أن للانجليز يداً فى ذلك رغبة منهم بإرضاء الولايات المتحدة فى سياستها مع إسرائيل

إن الذين زعموا ذلك يجهلون حقيقة الموقف ويجهلون حالة الفرقة العربية فى ذلك الحين ، فقد كانوا يعدونها جيشاً حديثاً ذا قوة عظيمة ، والحقيقة أن الفرقة العربية كانت كذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولكن كثيرا من جنودها انسحبوا منها بعد توقف القتال ، فلما بدأنا الحرب الفلسطينية لم يكن لدينا من المحاربين غير ستة آلاف رجل بينما كانت الصحف تجود علينا كرهاً بثلاثين ألف مقاتل ، ولم يكن الوقت مناسباً للتكذيب . . والذى كان يفت فى عضدنا هو عدم تمكننا من سد ما كان يحدث فى فرقتنا من فراغ ، وكان ينقصنا المال ، ولم تكن لدينا قوى احتياطية ، أما ذخائرنا فلم تكن تكفى لأكثر من (١٥) يوما أو (٢٠) يوما فيما لو جابهنا فيها حربا حقيقية متواصلة . أضف إلى ذلك أن القوى اليهودية انصبت فى شهر الحرب الأول على مدينة القدس حيث كنا نناضل . . وكان ذلك من حسن الطالع ! ولما كان المصريون والعراقيون والسوريون لم يشتركوا بعد فى القتال.. كان علينا أن نتحمل وحدنا هول الصدمة . . والحقيقة أن أعداءنا اليهود لم يكونوا مدربين على القتال لتعذر ذلك عليهم بسبب وجودهم تحت الانتداب البريطانى فى فلسطين ، ولكن عددهم كان يفوقنا بثمانية أضعاف . . . ولأنه لم يكن لديهم غير القليل من المدافع فقد كانوا مسلحين مقابل ذلك بكميات عظيمة من الأسلحة الخفيفة

ويتضح من هذا التصريح الذى أدلى به كلوب باشا وهو يلف

ويدور فى الإجابة أنه يريد أن يغطى الحقيقة المعروفة من أن سبب نكبة فلسطين هى وجود كلوب باشا على رأس الجيش العربى ، إذ لولاه ولولا مصالح بريطانيا فى سبيل إرضاء أمريكا واليهود على حساب العرب لتمكن الجيش العربى وجيش الإنقاذ من طرد اليهود وإرغامهم على ترك البلاد لأهلها خاصة بمدجلاء البريطانيين منها ، أما تمسكه بقلة الجيش العربى وذخائر الحربية فهذا محض اختلاق ، ولو رجعنا إلى الواقع لعلمنا أن جيوش الدولة العربية التى أرسلت لتحرير الديار المقدسة كانت قادرة على التطهير لو لم يتهددها كلوب باشا بمهاجمتها من الخلف إذا ماتقدمت خطوة واحدة لاسترداد الأراضى التى احتلتها الجيوش الإسرائيلية ، فإذا كان كلوب باشا يريد بمثل هذه الأكاذيب المفضوحة أن يطمس الحقائق التاريخية فليعلم العرب أن أمثال كلوب باشا ما كانوا ولن يكونوا فى يوم من الأيام فى خدمة القضية العربية مادام هو من عبيد أسياده الإنجليز ومادام هو والمستر فلبى يريدان تكملة المهمة التى قام بهـا لورنس ولم يتمها، فإذن كيف جاز له أن يخدع الرأى العام الأوربى بمثل هذه التصاريح المشوشة؟ هـذا ما أتركه إلى كتاب العرب الأحرار للتعليق عليه . وسلام على فلسطين التى أضاعها السامة الموالون لكلوب باشا الذى كان نفسه السبب فى إقصاء الملك طلال عن عرش أبيه والذى كان لا يأتمر إلا بأمره

٢ — فى قصيدة الفيتورى

قرأت قصيدة السيد محمد مفتاح الفيتورى المنشورة فى العدد (١٠٠١) من مجلة « الرسالة » الزاهرة بعنوان (العائدون من الحرب) فاستوقفنى فيها البيت التالى :

يجرجر خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا

والجرجرة كما فى لسان العرب مايلى :

الجرجرة الصوت ، والجرجرة تردد هدير الفحل وهو صوت يردده البعير فى حنجرته قال الأغلب المجلى يصف فحلا :

وهو إذا جرجر بعد الهب جرجر فى حنجرة كالحب
وهاجه كالمرجل النكب

وجرجر ضج وصاح، وفحل جراجر كثير الجرجرة، وهو بعير جرجار كما تقول ثرثر الرجل فهو ثرثار . . وفى الحديث « الذى يشرب فى الإناء الفضة والذهب إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » أى يحدر فيه ، والجرجرة صوت البعير عند الضجر

ولا أظن الأستاذ الفيتورى يقصد الجرجرة بمعناها المعروف ولكنه يقصد الجذب أو السحب وكان عليه أن يقول « يجرر خلفنا التاريخ » أليس كذلك ؟

وأوقفنى البيت التالى من القصيدة نفسها

لقد عدنا . أجل عدنا . . ولكن عودة القضور

وقد فتشت القواميس فلم أجد معنى لكلمة (القضور) فما معناها يا أستاذ !

عبد القادر رشيد الناصرى

إلى الأستاذ على الطنطاوى

أنت — يا سيدى قاض أجمع محبوه ومبغضوه على أنه عادل ، ولذا أحببت أن أرفع إليك هذه القضية

أعرف — يا سيدى — أديباً كبيرا آتاه الله علما ، وحباه فهما ، ورزقه إيمانا ما أشد اعتزازه به وحرصه على النهوض بتبعته ، واختصه ببيان ساحر كتب أو خطب لم يختص بمثله إلا قليلا ... ومع ذلك فهو لا يؤدى حق ماأنعم الله عليه ، أو أصبح الآن لا يؤديه فقد طالما طالعنا فى الماضى من أدبه المفيد والرائع والباقى ...

وأنا أعرف لماذا سكت أو « أسكت » فلم يعد يخطب أما لماذا كف عن الكتابة فلا أعرف ، هل علم الناس حتى استغنوا عن العلم ؟ ! واهتدوا حتى استغنوا عن الإرشاد ؟ ! وآمنوا حتى استغنوا عمن يقف فى أنفسهم ومجتمعهم فى وجه الإلحاد ؟! الخ)

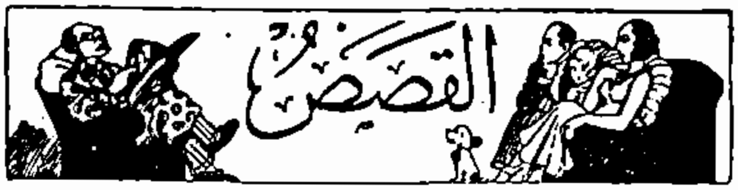
كلا ، ثم كلا فالناس ما زالون فى جهلهم بحاجة إلى العلم ، وفى ضلالهم بحاجة إلى الهدى ، وفى شكهم بحاجة إلى اليقين ، وفى أسفافهم بحاجة إلى أجنحة الأدب الرفيع ، ولكن أديبنا الكبير لا يلبى حاجتهم ولا يؤدى واجبه نحوهم ولا نحو قضية العلم والإيمان والأدب على العموم

نعم إنه يكتب هذا المقال الذى تقرؤه له كلما أوشكنا أن نقطع الأمل من وقوعنا عليه ولكنه ليس يكفى ، ولا يسد حاجة ، ولا يؤدى واجبا ، هذا كله على قدرة فيه نادرة ، وغيرة شديدة

لا يتطرق إليها الشك

فهل لك — يا سيدي القاضي — أن تنظر في هذه القضية المرفوعة إليك ضد الأديب الكبير (الذي أظن أنك عرفته أوثق المرفة) وإلى أن تحكم عليه الحكم العادل الذي يرده إلى ميدان الجهاد ولا يحوجني إلى أن أستأنف القضية عند شيخ الأدباء « الزيات »

دمشق محب الدين



القلب المحطم

للكاتب الانجليزي واشنطون ارفنج

اعتاد الذين تقدمت بهم السنون وتخطت بهم حدود الشباب فلم يعودوا يتأثرون بما يتأثر به الشبان من عواطف ، والذين درجوا على الخلاعة وشبوا في جوها الزاهي حيث لا مقام لشعور أو قرار لعاطفة ، أن يهزأوا بأخبار الحب جملة ظانين أنها لا تعدو أن تكون صورا وأقاصيص من نسج خيال القصصيين والشعراء ، إلا أن خبرتي بدخيلة النفس الانسانية تحملني على ألا أرى رأيهم ، فقد هدتني التجارب إلى أن المرء قد يبدو فاترا باردا لشواغل الدنيا وهمومها ، وقد يطالع الناس هاشا باشا مراعاة لمراسم المجتمع وآدابه ، إلا أن وراء هذا الظاهر الهادئ نيرانا كامنة ترقد في أعماق أبرد الصدور ، وهي نيران إذا أثارها مثير احتدمت احتداما لا يعرف مداه ، وقد تسوء عقباه . الحق أني مؤمن قوى الإيمان بذلك السلطان الأعمى ، ذاهب مع تعاليمه إلى أقصى حدودها . إني مؤمن بالقلوب المحطمة إيماني بأن خيبة الحب في رجائه قد تعجل بفنائه ، ولكني لا أرى الحب مرضا كثير الفتك ببني جنسي ، في حين أني أؤمن الإيمان كله بأنه المرض الذي يصيب كثيرا من النساء اللطيفات فيزعجهن ويذهب بهن ومازلن في مقتبل العمر وشرخ الشباب

إذ أن الرجل له مصالح وأطماع ، وطبيعته تدفعه إلى ولوج ميدان الحياة ، والكفاح في معمعانها الصاخب ، والحب عنده ألهية في مقتبل حياته ، أو أنشودة ينشدها في أوقات فراغه ، وذلك لأنه في شغل عنه بما يطمح إليه من شهرة ، وما يسعى وراءه من ثروة ، وما يروم تحقيقه من فكرة ، فهو لا يفتأ مشوقا إلى بلوغ ما يصبو إليه من سؤدد بين أنداده من الرجال ؛ أما المرأة فكل حياتها نهب للعواطف ، وما سيرتها إلا تاريخ لنوازع القلب ؛ فالقلب دنياها التي تطمع فيها إلى فرض سلطانها وإقرار مكانها ، وفيه تنقب عما تتمناه من مخبوء الكنوز فتطلق كل جارحة فيها للمغامرة ، وتنطلق بكل روحها مع سفين العواطف ، فإن غرقت سفينتها فقد خاب الرجاء فيها ؛ إذ معنى ذلك إفلاس قلبها ودوال دولتها

قد تسبب خيبة الحب للرجل آلاما ممضة ، وقد تجرح بعض مارق من أوتار قلبه ، وتعصف ببعض معالم هناءته ، إلا أنه مخلوق عامل يستطيع أن يبدد أفكاره ويصرفها بالاندماج في دائرة الأعمال المنوعة ، كما أن في وسعه أن ينغمس في الملاهي والمسرات ، أو يبدل مقر سكناه إذا رأى أن المسرح الذي مثلت عليه فصول مأساته محاط بملابسات لا قبل له بتحمل ما تسببه له من غصص وآلام ، فيرحل إلى حيث يشاء متخذا أجنحة الصباح طائرا إلى أقاصي البلاد حيث يخلد إلى الراحة والسكينة

أما حياة المرأة فهي بالنسبة إلى حياة الرجل حياة استقرار وعزلة وتأمل ، وهي أكثر اصطحابا لأفكارها وعواطفها ؛ فإذا ما استحالت هذه إلى رسل ودواع للألم والحزن فإلى أين النجاء ، وأين تلقى العزاء ؟ إن حظها من الحياة أن تحب وأن تنال ، فإذا ما ساء حظها وخاب فألها في حبها فمثل قلبها في ذلك مثل القلعة تقع في أيدي الأعداء فتنهب وتسلب وتترك خواء.

كم من عين متألقة خبا ضياؤها ! كم من خد أسيل غدا شاحبا ! كم من وجه جميل ذوى وطواه الردى دون أن يدرى امرؤ السبب الذي أودى بتلك النضارة ! فمن طبيعة المرأة أن تخفى عن العالم آلام عواطفها المجروحة كما تضم الحمامة جناحيها إلى

جانبيها تخفى بهما السهم الذى يوغل فى مقاتلها . وحب المرأة الحساسة هادئ خجول ؛ ومهما أصابت فى حبها من توفيق فقلما تهمس به لذات نفسها ؛ أما إذا خاب رجاؤها فى الحب أودعته طيات صدرها وتركته هناك فى هم واصب بين طاول أمسها الذاهب ، فقد أخفقت آمال قلبها ، وانتهت بهجة الحياة الكبرى عندها ، فهى عندئذ تعاف الألعاب البهجة التى تنعش الفؤاد وتسرع النبضات وتدفع تيارات الحياة والصحة فى العروق ، وهى فى حالها تلك تقلقها الأحلام السود وتفزعها فى نومها ، ويمتص الأسى دماءها حتى ليمسى جسمها من الوهن والهزال ينقض ويتهدم تحت أضعف مؤثر خارجى . فإذا ما سألت عنها بعد قليل وجدت الأصدقاء يبكون على قبرها وقد عاجلتها المنية فى وفرة صباها ، فتعجب ما شاء لك العجب كيف هبطت إلى عالم الظلام والديدان تلك التى كانت تشع منها إلى عهد قريب ضياء الصحة والجمال ! فيقال لك أصابها برد أو مرض شائع فتوفاها ، وما يدرى أحد منهم ذلك المرض الفكرى الذى سبق فاستنزف قواها وتركها فريسة لأدنى المؤثرات

مثلها مثل الدوحة الفينانة تزهر الغابة بها وتزدان ، تقف رشيقة القد مياسة الأغصان وريفة الأفنان بينا ينهش الدود لبها فيسرع إليها الذبول حين يرجى إشراق نضرتها وازدياد توريقها ؛ وعلى غرة تراها وقد مالت بأغصانها إلى الأرض وأخذت تتساقط أوراقها ورقة ورقة إلى أن تضمحل وتموت فتهوى فى سكون الغاب . فإذا ما تأملنا هذه الأدواح الجميلة أخفقنا فى تعليل ميتتها ، محاولين عبثاً أن نذكر تلك العاصفة التى عساها أن تكون قد أطاحتها ، أو تلك الصاعقة التى لعلها تكون قد صعقتها

لقد لاحظت بعض النساء وهن منحدرات بخطى سريعة نحو الذبول وقد أهملن شأنهن فاختفين من الوجود على مهل كأنهن تبخرن فى الهواء . ولقد ظننت مراراً أنى أصبت الحقيقة حين عزوت وفاتهن إلى آلام السل المهلكة تارة ، وإلى البرد تارة ، وإلى الهزال مرة وإلى الأحزان مرة ، ولكنى وجدت فى النهاية السبب الحق وهو يأس الحب وضيعة الأمل

كل يذكر ولا ريب قصة ذلك البطل الأرلندى الشاب « ا . د » فهى قصة كان وقعها أليما بحيث لا يمكن أن تنسى سريعا ؛ فقد حوكم إبان الاضطرابات الأرلندية متهماً بالخيانة ونفذ فيه حكم الإعدام بالشنق ، وكان لخاتمة حياته الفاجعة صدى عميق فى قلوب الجمهور ، إذ كان شابا فى ميعة الصبي وزهرة الشباب ، متوقد الذهن ، كريم النفس ، شجاع القلب ، كل فيه كل ما يحب فى الفتى من كريم السجايا وحميد الصفات ، كما كان سلوكه أثناء المحاكمة سامياً تجلت فيه بسالته وإقدامه ؛ وكان لغضبته النبيلة فى دفع تهمة الخيانة عن نفسه ، ولدفاعه الرائع عن اسمه ، ولندائه الحار للأجيال المقبلة وهو فى موقف الاتهام وساعة اليأس.. صدى مدو فى أعماق كل صدر كريم ، حتى أن أعداءه أنفسهم نددوا بتلك السياسة النكراء التى قضت عليه بالقتل

ولكن قلباً واحداً بين هذه القلوب فاقت حسرته ولوعته كل وصف ، ذلك هو قلب تلك الفتاة الجميلة ابنة أحد مشاهير المحامين الأرلنديين التى كان قد نال حبها أيام سعده وتوفيقه ، وكانت هى قد أحبته لأول ما أحبت بتلك الحماسة التى تحب بها المرأة حبها الأول فى مقتبل أيامها . لقد كانت تحبه أيام محنته ، أيام تألبت عليه أقاويل الناس وأحكامهم ، أيام عصفت العواصف بماله ، وتهدد العار والدمار اسمه ، وأحاط به السوء من كل جانب . ولقد كان يزيد حبها له معاناته لتلك الآلام ، فكيف بها اليوم وكيف ألمها وهى التى كانت تهيم بطيفه وتشغف بخياله . وقد حرك المصاب نفوس عداته ؛ سل عن ذلك من سدت أبواب القبر بغتة فى وجهه ، وفرقت بينه وبين من لم يعدل به وبحبه أحداً ، وقد جثا على حافة القبر كالمطرود فى دنيا باردة موحشة ذهب عنها كل ماهو محبوب وكل ماهو جميل

يالهوله من قبر ! كم هو مهين ! وقد خلت الذاكرة مما عساه أن يخفف غصة الفراق . ولم تستطع تلك اللابسات الوديعة وإن خالطها الغم ، أن تذيب ذلك الحزن فى تلك الدموع الباركة التى تنزل كالطل من السماء برداً وسلاماً على القلب فى ساعة الفراق الممضة

ترملت ، وزاد فى وحشة حياتها أن تلك الصلة قد أثارت غضب والدها وسخطه فنفاها من بيته . ولو أن صديقاتها روعت نفوسهن وتمعهن الخوف أن يهبنها عطفهن ، لما أعوزها العزاء ؛ فالأرلنديون قوم حساسو النفوس كريمو الشعور . ولقد مدت

إليها بيوتات كريمة يد المونة وأحطنها برقيق الرعاية وقدمنها للمجتمعات ، وحاولن الترفيه عنها بشتى الملاهي والمسرات لتزول عنها حزنها ولتبعد عن فكرها ذكرى مأساتها ، إلا أن ذلك كان عبثاً في عبث ، فإن من النكبات مايتلف النفس ويذويها وينفذ إلى منبت السعادة فيسحقه سحقاً فلا يعود إلى إنبات . أما هي فلم تأب التردد على منتديات السرور ، ولكنها كانت فيها منفردة بنفسها موكولة إلى أساها ، فكانت تسير في وجوم يغيب فيه الشعور بالدنيا التي تموج حولها ، وكانت تحمل في نفسها على الدوام ها دفينا يسخر بمداعبات الصديقات ، ولا تحفل بسحر الغناء ولا بجمال الرقص

لقد رآها من روى لي قصتها في « كرنفال » وقد أخبرني أنه لم ير منظراً للبؤس أكثر إيلاما للنفس من رؤيتها في هذا الحفل الحافل تمشي كالخيال الضارع وحيدة كئيبة؛ بينما كل ماحولها زاه بهيج ، وقال لي إنه رآها تلبس حلل المرح في حين تسير ساهمة الوجه ممتقعة اللون يغمرها الأسى كأنما تحاول عبثا أن تخدع قلبها لحظة تنسيه فيها حزنه المقيم . وبعد أن طافت بالحجرات الفاخرة وجالت بين ذلك الحشد الصاخب شاردة اللب جلست على درج منصة الموسيقى ؛ وبعد أن نظرت إلى الفضاء برهة وهي شاخصة الطرف يبدو عليها عدم الشعور بجمال المناظر من حولها ، أخذت تغني ، شأن القلب العليل في تقلب أطواره ، فكان شدوها باكيا، لقد كان صوتها رخيما إلا أنه في هذه المرة كان مؤثرا بسيطا ، فتنفست عن نفس يائسة ، والتف حولها الجميع وساد السكون ، فأذابت النفوس وأدمعت العيون

لقد أثارت قصتها شغف الناس ؛ إذ أن قصة سيدة على ذلك الإخلاص وهذا التفاني لا بد أن تثير إعجاب الناس في بلد عرف أهلوه بالحماسة والوفاء ، فأحبها وأغرم بها ضابط باسل خطبها وهو يحدث نفسه بأن من كانت تظهر هذا الإخلاص للميت ، تظهر ولاشك مثل هذا الإخلاص للحي، إلا أنها خيبت أمله في ذلك إذ لم يكن في وسعها أن تصرف فكرها عن ذكرى حبيبها الأول! على أنه أصر على طلبه قائلا : إنه يكفيه منها التقدير بديلا عن الحب . وساعده عليها اقتناعها بجدارته وعوزها واعتمادها على الغير إذ كانت تعيش على ماتجود به الصديقات ، فنجح في النهاية في الحصول على يدها مع تأكيد رهيب بأن قلبها مازال ملكا لغيره ولا سبيل إلى صده عن هواه

سافر بها إلى صقلية لعل تبديل الناظر يمحو ذكرياتها القديمة، ولقد كانت رقيقة القلب مثال الزوجة الصالحة ؛ فحاولت أن تسعد زواجها ، إلا أن هذا الهم الساكن وذلك الحزن الكامن لم ينجح فيهما علاج

فذبلت رويدا رويدا ، وأخذ منها الهزال مأخذه ، فسارت وشيكا إلى انحلال لا أمل في البرء منه وهوت أخيراً إلى قبرها ضحية القلب المحطم

وقد نظم فيها مور الشاعر الأرلندي الشهير أبياته الآتية :

بعيدة عن الأرض التي بها مثوى بطلها المحبوب ،
يلتف حولها المحبون وهم يصعدون الزفرات ،
إلا أنها تشيح عنهم بوجهها وتأخذ في النحيب ،
فقد علق قلبها بالثرى الذي ضم الحبيب ،

* * *

تنشد أغاني الفطرة عن مواطنها السذج الأعزاء،
مؤثرة ما كان يحبه من بين تلك الأنغام .
آه ليس يدري أولئك المعجبون بألحانها
كم يتمزق قلبها وهي تشدو بأنغامها !

* * *

عاش لحبه ومات في سبيل بلاده ،
وكان هذان كل ما يعنيه من دنياه ؛
وسوف لا تجف عاجلاً دموع بلاده عليه .
ولا أمل لمن أحبه أن يعيش طويلاً من بعده

* * *

ابنوا قبرها حيث تستقر أشعة الشمس ،
حين تؤذن بغيابها بدنو غد موموق ،
حتى تغنى عليها في ضجعتها كبسمة من الغروب
من جزيرة الأحزان التي أحبتها وعلقت بها

ع . ك